مطرانية بنى مزار والبهنسا

فصاموا حينئذٍ وصلُّوا

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

نقله إلى العربية
ي. م
٢٠١٧ م

Exerpts from the book
Gems
From the Sunday and Feasts
Gospels
By Anthony M. Coniaris

Light and Life Publishing Company.
P. O. Box 26421
Minneapolis, MN 55426-0421
U. S. A.

اسم الكتاب: فصاموا حينئذٍ وصلوا
اسم المؤلف: الأب أنتوني م. كونيارس
اسم المعرب: ي. م.

الطبعة: الأولى ٢٠١٧م
اسم المطبعة: مدارس الأحد
٧٠ شارع روض الفرج
ت: ٢٢٠٢٩٧٤٤
رقم الإيداع: ٢٠١٧ / ٤٩٧٦
الترقيم الدولي: 978-977-823-005-5
الغلاف والصور: الفنان كمال غطاس

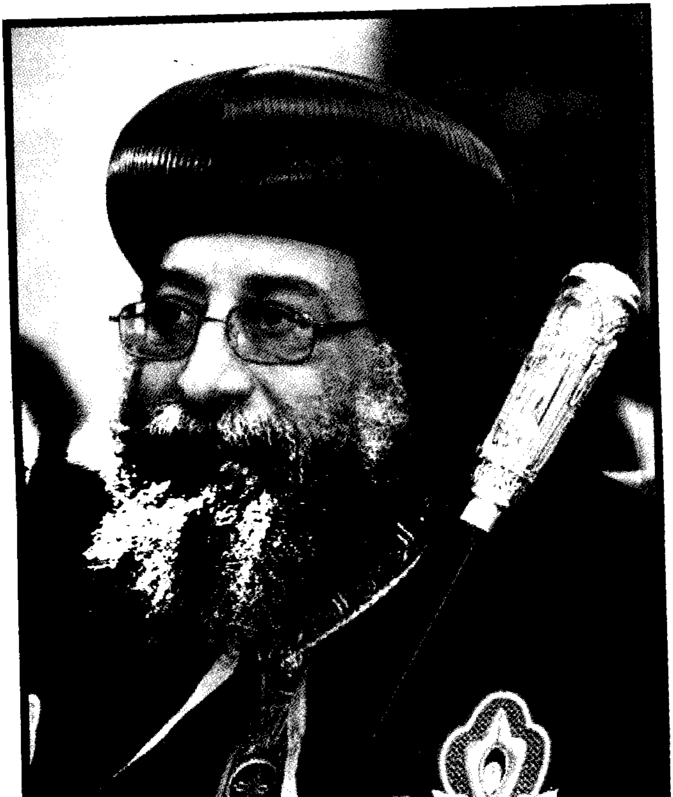

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٨)

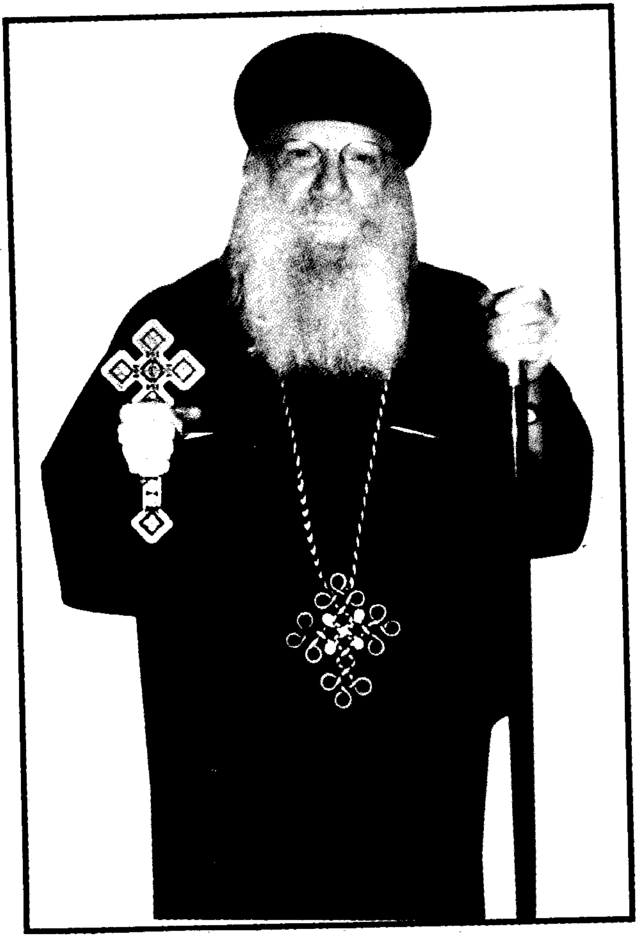

نيافة الحبر الجليل الأنبا أثناسيوس

أسقف بني مزار والبهنسا

مُحتويات الكتاب

تقديم نيافة الأنبا أثناسيوس ٩
تصريح ترجمة ونشر الكتاب ١٣
صلاة للصَّوْم المُقدَّس ١٤
أحد الاستعداد للصَّوْم المُقدَّس - واغفر لنا ذنوبنا ١٧
الأسبوع الأوَّل مِن الصَّوْم المُقدَّس
أحد الكنوز - مَن هو الغني؟ومَن هو الفقير؟....... ٢٨
الأسبوع الثَّاني مِن الصَّوْم المُقدَّس
أحد التَّجربة - ٤٤
الأسبوع الثَّالث مِن الصَّوْم المُقدَّس
أحد الابن الضَّال - الحريَّة............................ ٦٧
الأسبوع الرَّابع مِن الصَّوْم المُقدَّس -
أحد السَّامريَّة - الصَّلاة غير المُستجابة ٧٧
الأسبوع الخامس مِن الصَّوْم المُقدَّس
أحد المخلَّع - شفاء المفلوج ٨٧
الأسبوع السَّادس مِن الصَّوْم المُقدَّس
أحد المولود أعمى -
فأخبروه أنَّ يسوع النَّاصري مُجتاز ٩٥

تقديم نيافة الأنبا أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

بسم الآب والابن والرُّوح القُدُس
الإله الواحد آمين

أحبائي ...

قرأتُ كثيرًا لآباء وعظماء في شرح عن الصَّوْم و الصَّلاة، واستفدتُ وتعلَّمتُ أمورًا إنجيليَّة تعرِّفني الصَّوْم كأمر مِن خالق لأبينا آدم ليحيا مع الله. أمَّا في هذا الكتاب، فنجد صورة دقيقة حيَّة لوصايا الإنجيل عن معنى الصَّوْم في نقاط هامَّة كما أعلن إشعياء النَّبي في سفره الإنجيلي الأصحاح (٥٨)، ليكون إنجيلاً نسير على خطواته حتى نصلَ به إلى فردَوْس النَّعيم، ونرى ملكوت المسيح بفدائه الذي أعدَّه لنا بدمه الكريم.

الشُّعور الشَّخصي للإنسان المسيحي بأنَّه في حاجة إلى نَوْع مِن الجهاد للالتصاق بالله؛ هذا الشُّعور هو الافتقار في تكميل حياته، كأيقونة مقدَّسة في حاجة إلى تكميل ليكون الإنسان كاملاً في كلِّ شيء كقول السيِّد المسيح: **«كونوا كاملين كما أنَّ أباكم الذي في السموات هو كامل»** (مت٥: ٤٨)، (١بط١: ١٥ و١٦). ولا أقصد

الكمال المطلق الذي لله وحده، ولكن الكمال النِّسبي المحدود الذي للإنسان، وحسب المواهب المعطاة لنا مِن الرُّوح القدس الذي نلناه في المعموديَّة لنكون أناسًا روحيِّين نحكم في كلِّ شيء ولا يُحْكَم فينا مِن أحد (١كو ٢: ١٤ و ١٥).

في هذا الكتاب يركِّز أبونا يوئيل المقاري مع الأب أنتوني كونيارس على النِّقاط التي بها تستطيع أنْ تصل إلى مرامك في بهاء فترة الأربعين المقدَّسة، وذلك بالصَّلاة النقيَّة والشُّعور بعدم الاستحقاق لهذه البنويَّة.

وفي كلِّ أسبوع تقدر أنْ تحصل على وصايا توصِّلك إلى قامة ملء المسيح، لتكون جنة مغلقة، وعينًا مقفلة، ينبوعًا مختومًا (نش٤: ١٢).

نحن نحتاج إلى مغفرة؛ فكما يقول الرَّب في إنجيل القِّديس متى: «**اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا...** »، بمعنى: «**كما تريدون أنْ يفعل النَّاس بكم، اِفعلوا أنتم أيضًا بهم**» (لو٦: ٣١)، فإنْ كنتَ تريد ألاَّ تُدان، فلا تدِن أحدًا (رو ٢: ١ – ٣)، وهكذا في كلِّ الحياة الروحيَّة يكون لنا هذا المبدأ الهام.

اِقرأ هذا الكتاب، وقُم بتنفيذه يومًا فيومًا؛ ولا تقرأه دفعة واحدة، بل كلّ يَوْم خُذ نصيحة وتدرَّب عليها عمليًّا فتحصل بالفعل

على فضائل تجعلك جنَّة مغلقة، يدخل إليكَ رب المجد ويقطف مِن جنَّته عنبًا، دليل الحب الباذل، ويأكل عسلاً لأنَّك كلك حلاوة ومُشتهيات.

امتلئ روحيًّا لتفيض على الآخرين...

أشكر كلَّ مَن له تعب في إعداد هذا الكتاب الرُّوحي الشَّائق، سائلاً الربَّ أنْ يجعلنا نتعلَّم أن نحيا في الفضيلة، وننتهز فرصة الصَّوْم المقدَّس لنكنــــز لنا خزينًا روحيًّا.

الرب يبارك في المؤلِّف الأب أنتوني كونيارس، والأب مُتَــرجِم الكتاب مِن الإنجليزيَّة، ويبارك كل من له تعب في إخراج هذه الكُتُــب الجميلة.

بشفاعة القدِّيسة العذراء أُم الله الكلمة ، وصلوات أبينا البابـــا البطريرك الأنبا تواضروس الثَّاني، وشريكه في الخدمة الرسوليَّة أبينـــا الحبيب نيافة الأنبا إبيفانيوس أسقف ورئيس دير القدِّيس العظيم أنبا مقار ببرية شيهيت.

ولإلهنا المجد إلى الأبد. آمين.

بدء الصَّوْم الكبير
١٣ أمشير ١٧٣٣ ش
٢٠ فبراير ٢٠١٧م

بنعمة الله
أثنـاسـيـوس
أسقف بني مزار والبهنسا

تصـــــريح الأب أنتـــــوني
كونيــــــــــــــــــارس
لأسقفية بنـي مـزار بترجمـة
ونشـر كتبـه باللغـة العربيـة

LIGHT & LIFE PUBLISHING

4808 Park Glen Road, Minneapolis, MN 55416
Telephone: (952)-925-3888 Fax: (888)-925-3918
www.light-n-life.com

Bishop Athanathious of Beni
Mazar and Behnesa
Benimazar
Arab Republic of Egypt

July 29, 2003

Your Grace,

I beseech your Episcopal blessing.

I am most pleased to grant you permission to translate any of my books into Arabic.

I must admit humbly that these books were written not by me but by the Holy Spirit, so we offer all praise to Him together with the Father and the Son, Amen.

Most respectfully,

+Anthony M. Coniaris
Anthony M. Coniaris

☆ صلاة للصَّوْم المُقدَّس ☆

"لقد أخطأتُ أكثر مِن كلّ البَشَر،
أخطأتُ أنا وحدي إليك.

لكن لأنّك الإله،
أشفق على خليقتك، أيُّها المخلِّص.

لقد زيّنتُ صَنَم جسدي،
برداء ملوّن مِن الأفكار المُخْزِيَة، وأنا مذنِب.

آدم بعدلٍ نُفِيَ مِن جنَّة عدن،
لأنّه كَسَر وصيّة واحدة مِن وصاياك، يا مخلِّصي.

إذن ماذا أستحقّ أنا الذي كسرتُ الكثير مِن الوصايا،
لأنّني دائمًا أرفض كلمات الحياة؟

لقد نافستُ آدم، أوّل الخليقة في الإثم،
وجدتُ نفسي قد تجرّدتُ من الله،
مِن الملكوت الأبدي وبهجته،
بسبب ذنوبي.

مثل الزانية أصرخُ إليك:

أخطأتُ، أنا وحدي أخطأتُ إليك.
اقبل دموعي كدُهن طيّب، أيُّها المُخلِّص.

مثل العشّار أصرخ إليك: ارحم، أيها المخلِّص،
ارحمني لأنَّه ليس مِن بني آدم مَن أخطأ إليك
مثلي.

"اِرحمني يا الله، مِن أجل حبِّك اللانهائي،
مِن أجل رحمتك العظيمة،
امحُ خطيّتي!
اغسل كل شرّي،
ومن خطيّتي طهِّرني!

أنا معترفٌ بأخطائي،
أنا دائمًا مُدرِكٌ خطاياي.

أخطأتُ إليك، إليك وحدك،
وارتكبتُ ما أنتَ تعتبره شرًّا.

مِن أجل ذلك،
أنتَ على حقٍّ في حكمِك عليَّ؛
أنتَ مُحِقٌّ في إدانتك لي.

أنا شرِّير منذ أنْ وُلِدتُ؛
مِن يوم ولادتي أنا خاطئ.

انزع خطيّتي، فأطهر؛
اغسلني فأبيضَ أكثر من الثّلج.

أسمِعني سرورًا وفرحًا؛
ومع أنّك سحقتني وأذللتني،
سأفرحُ مِن جديد.

أغلق عينيكَ عن خطاياي،
وامحُ كلّ شرّي.

قلبًا نقيًّا، اخلق فيّ يا الله،
روحًا مستقيمًا جدّد في داخلي.

لا تطرحني مِن قدّام وجهك،
روحك القدّوس لا تنزعه منّي.

رُدّ لي بهجة خلاصك،
واجعلني أتوقُ لطاعتك.

أنتَ لا تُسرُّ بذبيحة، وإلاّ فكنتُ أقدّمها،
بمحرقة لا ترْضَى، ذبيحتي هي روح منكسرة،
يا الله؛ أنت لا ترذل قلبًا تائبًا ومتواضعًا.

لك كل المجد،
مع أبيكَ الصّالح، والرُّوح القُدُس.
مِن الآن وإلى الأبد. آمين".

أحد الاستعداد للصَّوم المقدَّس

☆✵✝🕯📖✝🕯✵☆

واغفر لنا ذنوبنا

كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا[1]

(مت٦: ١٢)

نلاحظ أنَّ هذه الطِّلبة هي الوحيدة التي علَّق عليها المسيح بعدما انتهى مِن تسليم تلاميذه صلاة «أبانا الذي...»، فقال لهم: «**فإنَّه إنْ غفرتم للناس زلاَّتهم، يغفر لكم أبوكم السَّماوي، وإنْ لم تغفروا للناس زلاَّتهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضًا زلاَّتكم**» (مت٦:١٤،١٥). معنى ذلك أنَّ المسيح يريد أنْ يعطي هذه الطِّلبة أهميَّة خاصَّة، ويحذِّرنا ويقول لنا انتبهوا لخطورة عدم المغفرة بعضكم لبعض!

القدِّيس أنبا مقار يقول في آخِر عظة له في بستان الرهبان (قول٥٤)، التي تُعتبر بمثابة وصيَّته الأخيرة:

[اغفروا لبعضكم بعضًا لتنالوا الغفران، فقد قال الرَّب: اغفروا يُغفر لكم. داوموا على حفظ هذه الوصيَّة فإنَّ ربحها عظيم ولا تعب فيها].

---

(١) هذا المقال للأب الراهب وديد المقاري.

هذه الوصيَّة لا تحتاج لصوم ولا لصلاه ولا لسهر ولا لقرع صدر ولا أنْ تُتعب نفسك في العمل... بل مجرَّد أنْ تقول مِن كلِّ قلبك: "يا رب أنا غفرتُ لأخي"، لذلك يقول: "**لا تعب فيها**"، ثمَّ إنَّك بذلك، تجد في الحال خطاياك قد غُفرت، لذلك يقول: "**ربحها عظيم**". وكأنِّي بالقدِّيس أنبا مقار يريد أنْ ينبِّهنا: "لاحظوا وانتبهوا، هذه فرصتكم مجَّانًا بدون أيِّ تعب أنْ تكسبوا أعظم ربح!"

طبعًا مَن لا يغفر لا يقدر أنْ يصلِّي «**أبانا الذي...** » بصدق. توجد قصَّة في بستان الرُّهبان تصوِّر ذلك على لسان الأب سلوانس:

قصَّة:

"مضي أخ إلى الأب سلوانس وأخبره بأنَّ له عدوًّا قد كثر شرّه ، وقد سأل السَّحرة في إهلاكه، وأنَّه يريد أنْ يسلِّمه إلى السُّلطان ليؤدِّبه وتنصلح نفسه . فقال له الشَّيخ: "اعمل ما شئت" . فقال الأخ: "اصنع لي صلاة". فقام الشَّيخ ليصلِّي، ولما بلغ إلي قوله: «اغفر لنا يا رب خطايانا كما نغفر نحن أيضًا لمن أخطأ إلينا»، قال: "لا تغفر لنا يا رب خطايانا، كما لا نغفر نحن لمن أخطأ إلينا". فقال الأخ: "لا تقل هكذا يا أبي" . فأجابه الشَّيخ: "إذا كنتَ تريد أنْ تنتقم ممَّن أساء إليك، فهذا ما يجب أنْ يُقال يا ولدي وهكذا يكون". فصنع الأخ ميطانية وصفح عن عدوِّه" (قول٦٧٠).

كثيرًا ما سمعنا مَن يقول: "أنا لا أحقد علي أخي كما لا يوجد في قلبي شيءٌ ضدَّه... أنا غافر له، ولكن هُوَ في حاله وأنا في حالي... ولن أتعامل معه ثانية!" . فإذا ناقشتَ مَن يقول مِثل هذا ، يجيبك: "ألم يقل الرب نفسه: «**فليكن عندك كالوثني والعشَّار؟**» (مت ١٨ : ١٧). إنَّني أعتبره هكذا ، ولا أتعامل معه".

ولكن ماذا كان يقصد الرَّب بهذه العبارة: «**فليكن عندك كالوثني والعشَّار؟**»

هل كان يقصد أنْ نقاطع مِثل هذا الإنسان ولا نتعامل معه؟ أم ماذا؟ لنعرف الإجابة لابد أنْ نسأل الربَّ نفسه: " ماذا كنتَ تقصد يا رب حينما قلتَ أنْ نتعامل معه كالوثني والعشَّار؟ " فيجيبنا : " أتريدون أنْ تعرفوا ماذا كنتُ أقصد عندما قلتُ: «**فليكن عندك كالوثني والعشَّار؟**»، انظروا كيف تعاملتُ أنا مع الوثني ومع العشَّار، مع الوثني (غريب الجنس) كنتُ أمتدح إيمانه وأقول عنه: «**الحقَّ أقول لكم: لم أجد ولا في إسرائيل إيمانًا بمقدار هذا!**» (مت ٨: ١٠) . قلتُ هذا عن قائد المئة الوثني، وللكنعانيَّة: «**يا امرأة عظيم هو إيمانك، ليكن لكِ ما تريدين**» (مت١٥ : ٢٨) ، وعن الأبرص السَّامري: «**ألم يوجد مَن يرجع ليعطي مجدًا لله غير هذا الغريب الجنس؟**» ثم قلتُ له: «**قم وامضِ، إيمانك خلَّصك**» (لو١٧: ١٨، ١٩). هكذا تعاملتُ مع الوثني وغريب الجنس.

وأمَّا مع العشَّار، فقد كنتُ صَديقًا للعشَّارين، أجلس معهم، آكُل معهم، أتعشَّى معهم، أُظهر لهم محبَّتي وأُعيدُ لهم اعتبارهم؛ وهذا كثيرًا ما جلب عليَّ الملامة: «**إنَّه دخل ليبيت عند رجل خاطئ**» (لو٧:١٩).

طبعًا مِثْل هذه الكلمة فيها تلميح مُشين ، لمجرَّد أنَّه طلب مِن زكا العشار أنْ يستضيفه: «**يا زكا، أسرع وانزل، لأنَّه ينبغي أنْ أمكث اليوم في بيتك**» (لو١٩: ٥).

بل يوجد ما هو أعجب مِن ذلك في تعامُل الربَّ مع العشَّارين، فبينما كان الرَّب سائرًا، وجد عشَّارًا اسمه لاوي: «**جالسًا عند مكان الجباية**» (لو٥ :٢٧)، أيْ وهو يمارس مهنته التي كان عليها علامات استفهام كثيرة، هذا لم يقُل له أتعشَّى عندك أو أبيت، أو أي شيء مثل ذلك، بل قال له: «**اتبعني**» (مت ٩:٩)، إنَّك تصلح لأنْ تكونَ واحدًا مِن الاثنى عشر! وصنع له لاوي ضيافة كبيرة في بيته، وكان كثيرٌ مِن العشَّارين ومِن الخطاة يأكلون معه ، فتذمَّر الفريسيُّون.

هذه الأمثلة تبيِّن لنا ماذا يقصد المسيح عندما يقول: «**فليكن عندك كالوثني والعشَّار**» (مت ١٨: ١٧). عشَّار معناه: إنسان ضعيف، ساقط، ولكن لأنَّه ضعيف وساقط ومريض، فهذا يحتاج إلى قسط مِن

محبَّتي أكثر مِن السَّليم، والمفروض أنْ أُحسن إليه أضعاف ما أُحسن إلى ذوي السُّمعة الصَّالحة.

يقول بستان الرُّهبان:

"قال أخ للأب بيمن: "إنْ أنا رأيتُ أخًا قد سمعتُ عنه سماعًا قبيحًا، فهل مِن الواجب عليَّ ألاَّ أُدخله قلايتي؟ وإنْ رأيتُ أخًا صالحًا ، فهل أفرحُ به"؟ فأجابه الشَّيخ: "إنْ أنتَ صنعتَ مع الأخ الصَّالح خيرًا قليلاً، فاصنع ضِعفه مع ذاك لأنَّه أخ مريض"" (قول ٣٩٩).

هذا هو معنى: «**كالوثني والعشَّار**».

ويؤيِّد هذا الشَّرح كلام المسيح الذي أوصى قائلاً: «**أحبُّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم**» (مت٥: ٤٤) الذي يسيء إليَّ أحبه، لماذا؟ «**لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنَّه يُشرق شمسه على الأشرار والصَّالحين، ويمطر على الأبرار والظَّالمين**» (مت٥: ٤٤). الذي يسيء إليَّ أحبُّه ؟ لماذا ؟ «**لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنَّه يشرق شمسه على الأشرار والصَّالحين، ويمطر على الأبرار والظَّالمين**» (مت٥: ٤٥). هكذا أنتم أيضًا، يجب أنْ تُحسنوا إلى الكل، الذي يحبُّكم والذي لا يحبُّكم. صحيح أنَّه قيل للقدماء «**تحبُّ قريبك وتبغض عدوّك**» (مت٥: ٤٣)، ولكنِّي أنا أقول لكم: «**أحبُّوا أعداءكم، أحسنوا**

إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطــردونكم». هو يكرهني؟ يعمل فيَّ كذا وكذا. ويتكلَّم عليَّ بالسُّــوء، وأنــا أُحسن إليه؟ لماذا؟ لماذا أُحسن إلى مبغضيَّ؟ ما هو قصدك يارب؟ لأنَّك بهذا تقتل الشَّر، هذه هي الوسيلة الوحيدة التي بهــا تَقْتــل الشَّر. عبَّر بولس الرَّسول عن هذه الحقيقة وبلورها في مبدأ: «**لا يغلبنَّك الشَّر، بل اغلب الشَّر بالخير**» (رو١٢: ٢١).

واحد يظلّ يعمل بكَ شرًّا ويضايقك ويشكيك ويذهب مِن ورائك ويتكلَّم عنك بالسُّوء ويُخرج عنك سمعة سيِّئة، تذهب أنتَ وتحسن إليه؟ لو أنتَ أحسنتَ إليه، فأنتَ لم تترك الشَّر الذي فيه يغلبك، ولكن الخير الذي فيك هو غلبه: «**فــإنْ جــاع عــدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه، لأنَّك إنْ فعلتَ هذا تجمع جمر نار على رأسه**» (رو١٢: ٢٠). قال القدِّيس بولس هذا مستشهدًا بسِــفْر الأمثال (أم٢٥: ٢١). ربَّما في سفر الأمثال كان المقصــود أنَّــه ستأتي بمصيبة عليه، ولكن القدِّيس بولس وهو يستشهد بها، كان يقصد: "لو أنتَ أحسنتَ إليه بينما هو يسيء إليك، فأنتَ تجمع جمر نار داخل قلبه للتَّوْبة وليُغيِّر طريقته، لأنَّ الشَّر الــذي فيــه سيحترق والخير الذي فيك سيغلبه: «**لا يغلبنَّك الشَّر بل اغلــب الشرَّ بالخَيْر**» (رو ١٢: ٢١).

قصَّة:

هناك قصَّة مشهورة لإبراهيم الجوهري مع أخيه جرجس الجوهري الذي شكا له مِن جاره غير المسيحي الذي يهينه ويتعدَّى على أولاده، فقال له إبراهيم الجوهري: سأقطع لك لسانه، وغلب شرَّ هذا الجار المسيء بأنْ أحسن إليه وأرسل له هدايا.

هذه القصَّة وإنْ بدت ساذجة، ولكن لها عمق كبير. ليس هناك وسيلة لنغلب الشَّر الذي في العالم إلاَّ عن طريق الخَيْر. الخَيْر هو الوحيد الكفيل بأنْ يغلب الشَّر، وهكذا فَعَل المسيح، فإنَّه لما أراد أنْ يغلب الشَّر الذي في الجنس البشري، جاء وأحسن إلينا وقدَّم الخَيْر إزاء الشَّر. هذا يظهر بجلاء عظيم في أسبوع الآلام، تجد فيه كمًّا هائلاً مِن الشِّر تجمَّع على المسيح، وهو قابَل هذا بتقديم ما لا نهاية له مِن الخَيْر للبشريَّة في نفس الأسبوع. كان الرَّب يرى حلقة المؤامرات تضيق حوله، وحنان وقيافا والرؤساء يتَّفقون مع يهوذا ويقدِّمون له الثَّمن، وينتظرون ساعة التَّسليم، هذا كلّه كان الرب يرصده وهو جالس في العليَّة مع تلاميذه، وقال ليهوذا: «**ما أنتَ تعمله فاعمله بأكثر سرعة**» (يو١٣: ٢٧)، وهو عالمٌ بكميَّة الشَّر والشَّماتة التي ستحيط به: «**يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيَّام، خلِّص نفسك! إن كنتَ ابن الله فانزل عن الصليب**» (مت ٢٧: ٤٠). كان الرَّب عارفًا بكلِّ هذا، وعالمًا بأنَّ بطرس

سينكره وبقيَّة التَّلاميذ سيتركونه ويهربون، كان عالمًا بهذا كلِّه، وفي نفس اللَّحظات، قدَّم أعظم خَيْرات للبشريَّة، في نفس اللَّحظات قدَّم أعظم ابتكار مِن قلبه المُحِب ليجعل البشريَّة تتَّحد به، أعني الإفخارستيا. أعظم إحسان يمكن أنْ يعطيه الخالق للمخلوق، وطلب لنا مِن الآب أنْ يكون فينا: «**الحب الذي أحببتني به**» (يو١٧: ٢٦)، وطلب لنا أيضًا مِن الآب أنْ: «**يكونوا واحدًا فينا**». هكذا نرى أنَّ أعظم الإحسانات التي قدَّمها المسيح للبشريَّة كانت في نفس اللَّحظات التي فيها البشريَّة تُعدُّ له أسوأ الإساءات، ولكن بهذا أثبتَ أنَّ الخَيْر الذي فيه يغلب الشَّر الذي في العالم. هذا هو الحجم الإلهي الذي لهذا المبدأ الذي صاغه بولس الرَّسول: «**لا يغلبنك الشَّر، بل اغلب الشَّر بالخَيْر**» (رو ١٢ : ٢١).

وفي الحقيقة هذا هو السَّبب الخفي وراء وصيَّة المسيح أنْ «**أحبُّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم**»، لأنَّكم إنْ فعلتم هذا «**تكونون أبناء أبيكم**»، وتشتركون معه في تقديم الخَيْر إزاء الشَّر، فينغلب الشَّر الذي في العالم بالخَيْر الذي تقدِّمونه .

والآن يتَّضح لنا لماذا اهتمَّ المسيح بالتَّعليق على هذه الطِّلبة مِن صلاة: «**أبانا الذي...** » دون غيرها، ولماذا ركَّز الرَّب على ضرورة أنْ نغفر للناس سيِّئاتهم، لأنَّنا إنْ فعلنا ذلك نكون متشبِّهين به، هو الذي غفر

لصالبيه، بل وللعالم كله كافَّة خطاياهم، نكون متشبِّهين بــه في تقــديم الإحسان إزاء الإساءة، في غلبة الشَّر بالخير: «**لا يغلبنَّك الشَّر، بل اغلب الشَّر بالخير**»، فنجد دالَّة كبيرة عنده . هذا ما سمعه أخ عندما غفر لأخيه:

قصَّة:

أخ أغضبه أخوه، ولما دخل قلايته، اســتحى أنْ يصــلِّي لله بسبب الوجع المتَّقد في قلبه، ولكنَّه لَمَّا انطرح قدام الله قــائلاً: "يا سيِّدي ، لقد غفرتُ لأخي مِن كلِّ قلبي"، فللوقت جــاءه صوت يقول له :"قد أخذتَ شبهي، إذن فصلِّ لي بِدَالَّة".

(بستان الرهبان ، قول ٨٩١)

فعندما نغفر بعضنا لبعض، نكون متشبِّهين بما فعله الله مِن نحونا:

«**مسامحين بعضكم بعضًا كما سامحكم الله أيضًــا في المســيح... فكونوا متمثِّلين بالله كأولاد أحبَّاء**» (أف٤: ٣٢ــ٥ :١).

على أنَّ المسيح أظهر المفارقة الكبيرة بين عِظَم ما فعله الله مِــن نحونا وخفَّة المطلوب مِنَّا في مَثَل العبد الذي سامحه سيِّده بعشــرة آلاف وزنة (وهي تساوي ٦٠ مليون دينار)، ولم يسامح زميله بمائــة دينــار (مت ١٨:٢٣ ــ ٣٥). فالله أنقذنا مِن أبديَّة تعيسة في الهلاك الأبدي، وقد كلَّفه ذلك ثمنًا لا يمكن أنْ نتصوَّره، بينما المطلوب منَّا أنْ نســامح إخوتنا بأمور تافهة ولا يُكلِّفنا ذلك شيئًا.

سؤال:

فهمنا أنَّ قصد المسيح مِن قوله: «**فليكن عندك كالوثني والعشَّار**» هو أنْ نقدِّم لهذا الشَّخص محبَّة أكثر لأنَّه ضعيف. ولكن لماذا يقول القدِّيس يوحنا في رسالته: «**لا تقبلوه في البيت ولا تقولوا له سلام ، لأنَّ مَن يُسلِّم عليه يشترك في أعماله الشرِّيرة**» (٢يو ١٠)؟

الجواب:

قال القدِّيس يوحنا ذلك عن الذين يريدون أنْ يُفسدوا إيمانك بالمسيح، وهكذا يقول البستان عن الذي يريد أنْ يبعدك عن الله: "أمَّا إنْ أراد إبعادك عن الله خالقك، فحينئذ اغضب جدًّا، لأنَّ غضبك حينئذ لا يكون باطلاً" (قول ٣٧٦).

يقصد بهذا مَن يريد أنْ يضلِّلك ويخرجك عن الحياة المسيحيَّة الحقيقيَّة، فهذا لا تخالطه. وهنا تظهر أهميَّة الإفراز الذي اعتبره القدِّيس أنطونيوس مدبِّرًا لكافة الفضائل الأخرى (قول ٣٢)، فبه تستطيع أنْ تميِّز كل موقف وتتصرَّف بما يناسبه.

وبالإضافة إلى ذلك هناك حالات مستعصية لا تَقْبَل تقديم المحبَّة لها، ولكن حتى مع هؤلاء لا تزال هناك وسيلة لتقديم المحبَّة والخَيْر «**إنَّكم في قلوبنا لنموت معكم ونعيش معكم**» (٢كو٧: ٣)، فمِثْل هذا الشَّخص تحمله في قلبك بالمحبَّة والصَّلاة. «**إنَّكم في قلوبنا**»، لاحظ أنَّه لم يَقُل: «**لنعيش معكم ونموت معكم**» بحسب التَّرتيب الزَّمني في الحياة

الأرضيَّة، حيث يأتي المَوْت بعد الحياة، ولكنَّه قال: «**لنمـــوت معكـــم ونعيش معكم**»، فهناك معنى سرِّي: إنَّكم في قلوبنا لنشترك معكـــم في الموت عن الخطيَّة ثم لنعيش معًا الحياة الأبديَّة.

﴿صـــلاة﴾

نشكرك يا إلهنا الصَّالح، لأنَّك اخترتنا وأقمتنا،
لنكون رعيَّة مع القدِّيسين وأهل بيت الله.

نشكرك يا ربَّنا يسوع المسيح،
لأنَّك علَّمتنا أنْ نغلب الشَّر بالخَيْر،
وأنتَ مارستَ هذا قَبْل أنْ تعلِّمه،
وأعطيتنا نفسك مثالاً عملياً لنا في غلبة الشَّر بالخَيْر.

أعطنا يا رب أنْ نحيا بك،
بروحك القدُّوس الذي يأخذ ممَّا لك وينقله إلينا،
الذي يأخذ المحبَّة التي في قلبك إزاء المُسيئين إليك، وينقلها إلى قلوبنا،
ويجعلنا كلّنا نصلِّي بعضنا مِن أجل بعض،
لأنَّنا كلّنا ضعفاء،
حتى نَصِل كلّنا يا رب إلى ملكوتك.

بمحبَّتنا بعضنا لبعض،
أنتَ تستطيع أنْ تجذبنا وتكمِّل خلاصنا، آمين.

الأسبوع الأوّل من الصّوم المقدّس

مَن هو الغني ومَن هو الفقير؟

(لو١٦: ١٩-٣١)

☆❋✞🕯📖✞🕯❋☆

مقدِّمة:

يحكي لنا الرَّب يسوع في الإنجيل عن إنسان غَني وآخَر فقير:

• في أحد المناظر نرى الغَني: «**يَلْبَس الأُرْجُوانَ وَالْبَزَّ، وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا، بينما طُرِح مِسْكِين اسْمُهُ لِعَازَرُ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ**» (راجع لو١٦: ١٩ــ٢١).

• وفي منظر آخَر نرى نفس الشَّخْصَيْن، لكن في وضع مختلف تمامًا، إذ نرى الغني وقد «**رَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْهَاوِيَةِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، فَنَادَى: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمُ ارْحَمْنِي وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللهِيبِ**» (راجع لو١٦: ٢٣و٢٤).

لم يتحدَّث يسوع قطّ في أمثاله العديدة عن شخصٍ مَضَى إلى الجحيم، سِوَى فيّ هذا المَثَل، إذ يقول لنا إنَّ الإنسان الغَني انتهى به المقام في الجحيم. في هذا المَثل يتكلَّم يسوع بلهجة شديدة مرسلاً لكلّ منَّا تحذيرًا قويًّا، لذا فلنُلْقِ بنظرة فاحصة على هذا الغَني، الذي يبدو لنا ــ بحسب مقاييسنا هذه الأيَّام ــ مثالاً للنَّجاح، لنرى لماذا تغيَّرت حياته ليصبح مثالاً لهذا الفشل الكئيب.

مَن هو الغني، ومَن هو الفقير؟

يدفعنا مَثَل اليوم إلى أنْ نسأل أنفسنا سؤالَيْن: مَن هو الغني؟ ومَن هو الفقير؟

يجيب لنا القدِّيس يوحنا ذهبي الفم على هذين السُّؤالين في تفسيره الرائع لهذا المَثَل، إذ يقول:

[إنْ رأيتَ شخصًا ما جشعًا لأشياء كثيرة، فخليقٌ بك أنْ تعتبره أفقر الكلّ، حتى لو نال أموال كلّ أحد. ولكن على الجانب الآخر، إنْ رأيتَ آخر وليس له سِوَى احتياجات قليلة، يمكنك أنْ تعتبره أغني الكل، حتى لو لم ينل أيّ شيء... لأن الغَنِي ليس هو الذي يملك الكثير، بل الذي يعطي الكثير، لأنَّ هذا يبقى إلى الأبد].

الأموال الميتة

في دوائر العمل البنكي يستخدم تعبير الأموال الميِّتة dead money ليشير إلى الأموال المودعة في الحسابات. هناك ملايين الدولارات لا يمكن الوصول إلى مالكيها. لذا تُدعى «الأموال الميِّتة». وهناك نوعيَّة أخرى من الأموال الميِّتة وهي التي يتكلَّم عنها يسوع في درس إنجيل اليوم. وهي الأموال التي لا تُستخدم قط في مدِّ يد العون للاحتياجات البشريَّة. ويقول الرَّب يسوع إنَّ مَن تخصه هذه الأموال الميِّتة يُدان.

ويكتب القدِّيس بولس: «**لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِيمَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ** ‹labor - work hard - toil› **عَامِلاً الصَّالِحَ الخير ــ العَمَلِ الشَرِيفِ** = ‹what is good- honest – useful› **بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ**» (أف٤: ٢٨). هنا ندرك النُّقطة الهامَّة: الغرض مِن عمل الإنسان واكتسابه النُّقود هو أنْ يكون قادرًا على «**أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ**» (أف٤: ٢٨).

يكتب القدِّيس غريغوريوس الكبير:

[يظنُّ البعض أنَّ العهد القديم أكثر صرامة مِن العهد الجديد، لكنهم يخطئون في حكمهم هذا خادعين أنفسهم؛ صحيح إنَّ الناموس القديم لا يعاقب شهوة

اكتناز الثروة، لكنَّه وضع عقابًا للسَّرقة. وهنا الغَنِي لم يُدَن لأجل أخذه أملاك الآخرين، بل بالحري لأجل عدم إنفاقه ما يملك].

خطية الغَنِي:

ماذا كانت خطيَّة الغَني؟ لم تكن أنَّه غَني، ولا أنَّه أبعد الله مِن حياته! بل كانت عدم المحبَّة. لقد تجاهل لعازر لأنَّه لم يره، وهو لم يره لأنَّه لا يُحِب.

- المحبَّة تمنح العيون التي ترى الجراحات المحتاجة لأنْ تضمَّد.
- المحبَّة تُعطي الآذان التي تسمع النِّداء الصَّامت لأجل المساعدة.
- المحبَّة تهب الأيادي لتساعد وتُدَعِّم، واللسان ليعزِّي، عندما تصبح أثقال الحياة أكثر ممَّا يمكن احتمالها.

تعوَّدتُ على ذلك:

لقد أُدين الغَني لعدم رؤيته لعازر يموت مِن الجوع رغم أنَّه كان على عتبة بابه، فلم يره لأنَّه لم يكن يُحِب.

مسؤول كنسي يحكي عن زيارته لمدينة كلكتا Calcutta لتوزيع أغطية وأطعمة لبعض مِن ٢٠٠٠٠٠ فقير يعيشون وينامون

على أرصفة الشَّوارع في العراء. في البداية رتعب وصُدم برؤيته حالتهم، لكنه سرعان ما اعتاد على المنظر إلى حدٍّ أنَّه لم يعُد يزعجه. يقول: "بمرور الأيام تعلَّمت أنْ أتغاضى عن البشاعة والقذارة. كنتُ أعبر بالمتسوِّلين دون حتى أنْ أهز لهم رأسي. ولم أعُد بعد أدعُ الصِّبية الصِّغار يلمِّعون حذائي إذ يكون قد تمَّ تلميعه إلى أقصى درجة بواسطة خَدم الفندق المتلهِّفين. سرعان ما بدأتُ ألاحظ الأشخاص ذوي الملابس الجيِّدة: رجال الأعمال بحقائبهم الجلديَّة، صبية المدارس الجذابين بستراتهم الفضفاضة وبناطيلهم القصيرة، وفتيات المكاتب النحاف في لباس السَّاري الخاص بهنَّ. تعلَّمتُ أنْ أُهمل الأطفال الصِّغار بأرجلهم الطويلة النَّحيلة وشعرهم الضَّارب إلى الحمرة بفعل سوء التَّغذية، ووصلتُ إلى الموافقة على أنَّه مِن الأفضل أنْ أُعطي عطاياي عبر هيئات الكنائس وليس إلى المتسوِّلين. وكنتُ في طريقي إلى بنجلادش حيث كنتُ أَعلم أنْ الوضع هناك سيكون أسوأ بكثير. فيما كنتُ في طريقي إلى المطار بعد أنْ قضيت خمسة أيام في كلكتَّا، بالكاد كنتُ ألاحظ أنَّ هناك في الشوارع أناسًا أجسادهم ملفوفة في أقمشة خشنة ومطروحين تجاه الحوائط. في ظرف خمسة أيام أصبحتُ أكثر اعتيادًا على رؤية الفقراء. هناك أناس كثيرون كلّ

منهم يشبه لعازر يجعلون مِن البارات التي يمتلكها النَّاس الأكثر ثراء مكان تسوُّلهم. وجود الفقر يجرِّدنا مِن إنسانيَّتنا كلّنا، سواء الذين يسألون والذين يعطون، وكذلك الذين يتعلَّمون أنْ يحوِّلوا بصرهم ويعودوا لشرب الشَّاي في أفخر الفنادق".

أَلاَ نسمح نحن أيضًا أنْ يَحدث ذلك معنا اليوم؟ إنَّنا نسمح لأنفسنا أنْ نعتاد على رؤية لعازر الكهل على عتبة بابنا كلّ يوم حتى لا يعود بإمكاننا أنْ نراه بعد، إذ يصبح جزءًا مِن المنظر الطبيعي. لكن الذي تجاهله الغَني لم يكن مجرد لعازر، بل هو أيضًا الله الذي وحَّد نفسه بكلِّ شخصٍ يعاني، إذ يقول يسوع: «**لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي... الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ**» (مت٢٥: ٣٥ــ٤٠).

خطر الغِنَى:

أحد أعظم أخطار الغِنَى هو قدرته الهائلة على صرف انتباهنا عن محبَّة الله ومحبَّة القريب، فهو يعمل على أنْ يُقسِّي القلوب البشريَّة ضدّ احتياجات الآخرين، ويشجِّع المرء على أنْ يبرِّر ذاته وببساطة يدين الفقير والعديم الحيلة، وبغرور كغرور الفرِّيسي في صلاته في الهيكل يمجِّد الله ويشكره لأجل إعطائه الغِنَى لمستحقِّيه بسبب فضيلتهم الفائقة!

نحن مجرَّد وكلاء لله:

إنْ كان لدى الغَنِي أكثر مِن الآخرين، فذلك ليس بسبب فضائله الفائقة، بل لأنَّه وكيل الله، اختاره الله ليعطيه أكثر لكي ما يكون لديه ما يكفي لأنْ يوزِّع على مَن هم أقلّ نصيبًا، أنصت مرَّة أخرى لما يقوله القدِّيس يوحنا ذهبي الفم:

[لأنَّ المال هو مِلك لله... هذا هو السَّبب الذي لأجله سمح لك أنْ تنال أكثر، ليس لكي تبذره على الشُّرب والأطعمة الممتازة والملابس الباهظة الثَّمن... بل لكي توزِّعه على المحتاجين... فقد حصلتَ عليه أكثر مِن الآخرين... ليس لتنفقه على نفسك، بل لتكون أيضًا وكيلاً صالحًا لخدمة الآخرين].

أمَّا القدِّيس كليمنضس الإسكندري فيقولها بكلمات أخرى:

[جُعِلَت المقتنيات لنمتلكها، ودُعِيَت السِّلَع goods هكذا، لأنَّها تُحقِّق خيرًا good، وقد أُعطِيَت مِن الله لأجل خَيْر الإنسان].

نحن مجرَّد وكلاء لله، الذي عيَّننا لكي نُدِير ممتلكاته، أيْ أنَّ الممتلكات والمقتنيات لا تخصّنا بل هي كلّها مِلك له، وهو فقط أقرضها لنا، وبالتَّالي نحن مسؤولون أمامه عن كلّ ما لدينا.

هناك رسم غريب في إحدى الأيقونات لعَيْن وأُذُن ويد، وتبدو كلها كلغز إلى أنْ ندرك ما تعنيه، فهي تُذَكِّرنا أنَّها:

- عَيْن الله التي ترى كلّ شيء.
- أذن الله التي تسمع كلّ شيء.
- يد الله التي تكتب كلّ شيء، لتحتفظ بسجل لكلِّ ما نفعل بكلِّ ما أعطاه لنا.

في النّهاية هناك عدالة وسننال كلّ ما نستحقّه.

ويصف القدِّيس يوحنا ذهبي الفم عدالة الله التي تجلَّت في هذا المَثَل، متحدِّثًا عن المنظر في الهاوية بعدما مات كلّ منهما، فيقول:

[ذاك الذي سبق أنْ رأيته على باب الغَنِي، تراه الآن في حضن إبراهيم.

والذي سبق أنْ رأيته والكلاب تلحس جروحه، تراه الآن والملائكة تحمله في نصرة.

الذي سبق أنْ رأيته في فقر، تراه الآن في تَنَعُّم.

لقد سبق أنْ رأيته جوعانًا، لكنَّك تراه الآن في وفرة عظيمة.

قد رأيته يكافح في الجهاد. أنظره الآن متوَّجًا بإكليل النّصرة.

لقد رأيت آلامه ومعاناته، أُنظر الآن مكافأته].

لماذا لعازر؟

لماذا طُرِحَ لعازر عِنْدَ بَابِ الغَنِي، دونًا عن جميع الأماكن؟ يوضِّح القدِّيس ذهبي الفم الإجابة قائلاً:

[إنَّ الله وضعه هناك عمدًا لكي ما يخلِّص الغَنِي: "لقد أرسلتُ المسكين لعازر إلى بابك لأعلِّمك الفضيلة وأنال محبَّتك، لكنَّك أهملتَ هذه المعونة ورفضتَ أنْ تستفيد مِن مساعدته لأجل خلاصك". ويستطرد القدِّيس ذهبي الفم أن: "علينا أنْ نلاحظ بدِقَّة أين وَضع الله لعازر: "ليس في الطَّريق، ولا في الشارع، وليس في زقاق، ولا في وسط السُّوق، بل على باب الغَنِي الذي منه يَدخل ويخرج، لكيلا يستطيع أنْ يقول: لم أره، لقد مررتُ ولم تره عيناي؛ إنَّه مطروح على مدخل بيتك، لؤلؤة في الطين، ولم تره؟"

"افتح عينيك لتراه لأنَّ خلاصك الأبدي يعتمد على رؤيتك له ومساعدته؛ ربَّما ترى أنَّه ليس مِن مستواك، لكنَّه في عيني الله أفضل. ويستكمل القدِّيس ذهبي الفم: "حتى لو لم يكن سِوَى واحد إلاَّ أنَّه إنسان، ولأجله السَّماء قد امتدَّت،

والابن ظهر، وتغيَّر القمر، والهواء تكلَّم، والينابيع فاضت بغزارة، والبحر اتَّسع، والأنبياء أُرْسَلوا، والناموس أُعْطِيَ، ولماذا أذكر كلّ هذا؟ ما هو أفضل بما لا يقاس أنَّ ابن الله الوحيد صار إنسانًا؛ سيدي ذُبِح وسُفك دمه لأجل هذا الإنسان. فهل بعد ذلك أحتقره؟ وأيّ غفران يكون لي؟"

هذا هو مَن يكون لعازر حقًّا، ليس متسوّلاً تافهًا مطروحًا على باب أحد الأغنياء. لقد وَضع الله اختبارًا على باب خادمه الغَني بالذَّات ليرى حقيقة نوعيَّة أداء وكيله. إنَّ كثيرًا مِن أمثال لعازر معنا اليوم في كلّ مكان حولنا، وهم يحتاجون ليس فقط إلى الطَّعام بل وأيضًا إلى الإيمان؛ ليس مجرَّد المال بل الاعتناء، ليس الضَّمان الاجتماعي فحسب بل الأهمّ لمسة المحبَّة. لأجل الملكوت، ولأجل خلاصك وخلاصهم، لا تهملهم].

نحن نلبس أقنعة:

في حديثه الرَّائع عن هذا المَثَل، يشبِّه القدِّيس ذهبي الفم كلّ منَّا في هذا العالم بممثّلين في مسرحيَّة، فيكتب قائلاً:

[تمامًا كما يدخل الممثّلون وهم يلبسون أقنعة، إمَّا ملوك، أو قادة عسكريِّين، أو أطبَّاء، أو مدرِّسين، أو أساتذة، أو جنود، دون أنْ يكونوا هم أنفسهم مِن أي نوعيَّة مِن

تلك؛ هكذا في الحياة الحاضرة، فالفقر والغِنَى ليسا سِوَى أقنعة. وكما أنَّه في المسرح عندما يأتي المساء ويغادر المشاهدون المسرح، يخرج الملوك والقادة لإزالة أزياء أدوارهم ويظهرون أمام الآخرين كما هم في الحقيقة؛ هكذا الآن عندما يأتينا الموت ويُفَكِّك المسرح، يخلع كل أحد أقنعة الغِنَى أو الفقر ويغادر إلى العالم الآخر، فلم يكونا سوى قِنَاعَيْن: كان لأحد ما قناع الإنسان الغَني، ولآخر قِناع إنسان فقير. المظاهر الخارجيَّة ليست سِوَى أقنعة، وليست حقيقة الواقع. لقد غادرا إلى العالم الآخَر وانتهت المسرحيَّة، وأزيلت الأقنعة لتَظْهر الوجوه الحقيقيَّة منذُ الآن فصاعدًا].

في هذا العالم الآخر كان الغَنِي وهو فِي الْعَذَابِ، يرى مِنْ بَعِيدٍ لِعازر فِي فيض الوفرة يتنعم في حضن إبراهيم، فيقول له: «يَا أَبِي إِبْرَاهِيمُ... أَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللهِيبِ» (لو١٦: ٢٤).

ويقول القدِّيس ذهبي الفم إنَّه لعجيب أنَّه لَمَّا كان لعازر على عتبة بابه، فالغَنِي لم يلاحظه قط، بينما لاحظه الآن وهو يَبعد عنه بمسافة كبيرة.

كيف أجاب إبراهيم على طلب الغَني؟ قال: «يَا ابْنِي اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ وَكَذَلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتعَزَّى وَأَنْتَ تَتعَذَّبُ، وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هَهُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدِرُونَ وَلاَ الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا» (لو١٦: ٢٥و٢٦).

ويجيب القدِّيس ذهبي الفم على التساؤل: كيف تصرَّف الغني؟ فيقول:

[رغم أنَّه دعا إبراهيم "يَا أَبِي"، وكذلك إبراهيم دعاه "يَا ابْنِي"، إلاَّ أنَّ هذه ليست سوى ألقاب صِلَة، وليست هناك أيَّة مساعدة على الإطلاق. لقد ذَكَر المَثَل الألقاب ليُعلِّمنا أنَّ العائلة لا تفيد شيئًا. إنَّ النُّبْل الحقيقي ليس هو سُمُو أسلافك، إنَّما فضيلة طابعك. إنْ كان القدِّيس بولس أباك، أو كان أخوك شهيدًا، لكنك لم تتمثَّل بفضيلتهما، فلنْ تنفعك علاقتك بهما، بل بالحري تؤذيك وتدينك. ماذا قال القدِّيس يوحنا المعمدان لليهود؟ «اصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ، وَلاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا» (مت٣: ٨). هل لديك جَدًّا رائعًا؟ إنْ تمثَّلتَ به فستستفيد، لكن إنْ لم تتشبَّه به فسيصير جَدك هو مَن يوجِّه لك الاتِّهام، لأنَّك ثمرة مُرَّة أنتجها جزع صالح].

حِضْنِ إبْرَاهِيمَ:

المَوْت هو نقطة الحَسْم في هذا المَثَل. لقد فاجأ يسوع السَّامعين بقوله إنَّ هذا المتسوِّل الفقير سيكون في الموضع الذي يرجو جميع اليهود أنْ يكونوا فيه، لكن لن تكون هناك فرصة لذلك إلاَّ للشخص المتديِّن جدًّا: في حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. إنَّه موضع التَّكريم، تمامًا كما كان ليسوع موضع التَّكريم عند الله: «**اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ**» (يو١:١٨)، وكما كان للتلميذ المحبوب يوحنا موضع التَّكريم: «**كَانَ مُتَّكِئًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تلامِيذِهِ كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ**» (يو١٣:٢٣). هكذا الآن المِسْكِين لِعَازَرُ في موضع التَّكريم بجوار أب إسرائيل وبطل الإيمان: إبراهيم.

حُسن ضيافة إبراهيم مقارَنة بسوء ضيافة الغَنِي:

لكن لماذا إبراهيم؟ لماذا الغَنِي لم يرَ لعازر مع أيٍّ مِن أبطال العهد القديم الأبرار مثل موسى أو إيليا أو أليشع؟ يجيب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم على هذا السؤال إذ يكتب قائلاً:

[لقد كان إبراهيم مضيافًا، والغَنِي رأى لعازر مع إبراهيم، لكي ما يدين لعازر سوء ضيافته، لأنَّ رئيس الآباء كان يسعى لاستضافة المارَّة، أمَّا هذا الغَنِي فقد تغاضى عمَّن كان في داخل بابه. بالرغم مِن أنَّه كان لديه مِثْل هذا الكَنْز والعَوْن لخلاصه، فقد كان يمُر به يوميًّا دون أنْ يستفيد مِن

مساعدة الإنسان المسكين بمنحه احتياجاته. لكن أب الآباء لم يماثله، بل كان على عكسه تمامًا: يجلس أمام بابه يتصيَّد كل مَن يَعْبُر].

لم يكن هناك مَن هو مضيافٌ أكثر مِن إبراهيم في العهد القديم، فقد قيل لنا إنَّه كان حَسَن الاستضافة حتى إنَّه أضاف ملائكة دون أنْ يدري، وهذا ما نقرأه عنه: «**لاَ تَنْسُوا إِضَافَةَ الْغُرَبَاءِ، لأَنْ بِهَا أَضَافَ أُنَاسٌ مَلاَئِكَةً وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ**» (عب١٣: ٢).

حُسْن استضافة إبراهيم للغرباء ستقف في الدينونة لإدانة سوء استضافة الغَنِي للعازر.

يَا ابْنِي اذْكُرْ:

انتساب الغَنِي لإبراهيم يؤكِّده إبراهيم عندما دعاه «**يَا ابْنِي**». قد يكون كامنًا لدى الغَنِي ما يؤهله للمشاركة في بركات أولاد إبراهيم، لكن هذه البركات لا تُعطَى بطريقة آلية! لقد أشار إبراهيم إلى حياة الغَنِي السابقة على الأرض قائلاً: «**اذْكُر**»! فلحياة الإنسان على الأرض منزلة وأهمية أبدية، الحياةُ أُعْطِيَت لنا مِن الله، وبإمكاننا أنْ نحسن استخدامها أو أنْ نسيئه، بمقدورنا أنْ نربحها أو نخسرها. نستطيع أنْ نتوافق مع متطلَّباتها أو ندمِّرها، وما يفرق بين هذا وذاك هو ما إذا كُنَّا نرى لعازر المسكين على بابنا! وفي المقابل اتَّكل لعازر على الله

ووثق فيه، فبرغم حالته المزرية لم يفقد قط إيمانه في صلاح الله كمعين وفادٍ.

مَن هو الغَني؟ ليس مَن لديه الكثير بل الذي يعطي كثيرًا.

مَن هو الفقير؟ الذي يطمع فيما هو أكثر، حتى لو كان لديه خَيْرات العالم بوفرة.

مَن هو غَنيّ؟ في الحقيقة: ليس ولا واحد. فنحن جميعُنا وكلاء، ندبِّر ما قد أقرضه لنا الله، وكلّنا ممثّلون في مسرحيَّة، نضع الأقنعة، بعض منَّا يلبس قناع الفقر، وآخرون قناع الغِنَى؛ لكن يومًا ما ستنتهي المسرحيَّة وتُخلع الأقنعة ونُدان على أساس مدى إخلاصنا في تأدية الدور الذي عيَّنه لنا الله. ويعلّق القدِّيس صاروفيم على ذلك فيقول:

[لذا استخدِم زمن تواجدك على الأرض لتقايض المال الورقي المؤقّت بالذّهب ذي الرَّنين الذي للأبديَّة].

ويكتب القدِّيس بولس:

«أَوْصِ الأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ أَلاَّ يَسْتَكْبِرُوا، وَلاَ يُلْقُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةِ الْغِنَى، بَلْ عَلَى اللهِ الْحَيِّ الَّذِي يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنًى لِلتَّمَتُّعِ، وَأَنْ يَصْنَعُوا

صَلاَحًا، وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَالٍ صَــالِحَةٍ، وَأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ كُرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ، مُدَّخِرِينَ لأَنْفُسِهِمْ أَسَاسًا حَسَنًا لِلْمُسْتَقْبَلِ، لِكَيْ يُمْسِكُوا بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ» (١تي٦:١٧ــ١٩).

☆صـلاة☆

"نشكرك يا رب لأجل مَثَل لعازر والغَني،
ولأجل ما تضمَّنه مِن دروسٍ عديدة.

ليكن الحب هو مرشدنا،
فيما ندير ممتلكاتك للسَّنوات القليلة التي نقضيها هنا.

احفظ قلبنا وعيوننا مفتوحة،
لكي ما لا نعبر قط على أي لعازر،
دون أنْ نمدَّه بمحبَّتنا.

عالمين أنَّك الذي وضعته هناك عند بابنا،
لكي ما نخلُص به.

لك كل المجد يا ربَّنا يسوع المسيح،
مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس،
مِن الآن وإلى الأبد.
آمين".

الأسبوع الثَّاني مِن الصَّوم المقدَّس

التَّجربة على الجبل

جحد الشَّيطان والمعموديَّة

«اذهب يا شيطان»

(مت٤: ١٠)

☆✵✝🕯📖✝🕯✵☆

تبدأ مراسم طقوس سِر المعموديَّة المقدَّسة في الرّواق الخارجي (المدخل) للكنيسة، ذلك لإظهار أنَّ الموعوظين لم يصبحوا بعد أعضاءً في الكنيسة. إنَّ الهدف مِن المعموديَّة لا ينصبُّ في إحضار الشَّخص إلى الكنيسة، فدخول هيكل الله معناه أنْ تكون مع المسيح، وتصير ابنًا أو ابنة لله وعضوًا في جسد المسيح، وتتذوَّق فرح الرُّوح القُدُس. فالمعموديَّة رحلة، احتفالُ سَيْرٍ يبدأ مِن الرّواق ومنه يُقتاد الشَّخص إلى داخل الكنيسة، إذ يكتب القدِّيس بولس الرَّسول أنَّكم كنتم قبلاً غرباء، أمَّا الآن فأنتم أهل (أعضاء) بيت الله.

ثم يطلب الكاهن مِن الإشبين أو الموعوظ المؤهَّل للمعموديَّة أنْ يجحد إبليس وكلّ أعماله، ويسأله: "هل تجحد الشَّيطان وكلّ

جنوده الشرِّيرة وكلّ أعماله وكلّ عبادته وكلّ كبريائه؟" فيجيب الشَّخص المؤهَّل للمعموديَّة أو الإشبين: "نعـــم". ويـــتمُّ تكـــرار السُّؤال والإجابة ثلاث مرَّات. بعدئذ يســـأل الكـــاهن: "هـــل جحدتَ الشَّيطان؟" فيجيب المؤهَّل للمعموديَّة أو الإشبين: "نعم". مرَّة أخرى يتكرَّر السؤال والإجابة عليه ثلاث مرَّات، ثم يـــنفخ الكاهن في وجه الطِّفل أو الشَّخص المعمَّد ويقول: "اخرج أيُّهـــا الرُّوح النَّجس".

لقد وضَّح الأب أليكسندر شيمن Alexander Schmemann المعنى الكامن وراء مرحلة جحد الشَّيطان في طقس المعموديَّة المقدَّسة حينما كتب يقول:

> **"إنَّ أوَّل عمل في الحياة المسيحيَّة هو جحد الشَّيطان وهو يمثِّل تحدِّيًا، فما مِن أحد يستطيع أنْ يكون مســـيحيًّا إلاَّ بعـــد أنْ يكون قد واجه أوَّلاً الشَّر حتى يعترف بحقيقته، ويعرف قوَّته، ويُعلن قوَّة الله للقضاء عليه. فطرد الشَّيطان يخبر بـــأنَّ هـــذه المعموديَّة التي نُقبل عليها إنَّما هي عمل نصرة".**

"لا" للشَّيطان طوال الحياة:

مِن المهم أنْ تبدأ الحياة المسيحيَّة بقرار جحد الشَّـــيطان، أي قول "لا" له. فلا يمكن أنْ يصبح المرء تابعًا للربِّ يسوع، أو ينـــال

الحياة الجديدة في المسيح بالمعموديَّة ما لم يعزم أنْ يقول "لا" للمغريات الشرِّيرة، ويظلُّ يردِّدها طيلة حياته. إنَّ جحد الشَّيطان في المعموديَّة المقدَّسة يحدِّد الاتِّجاه العام لحياة المؤمن، إذ إنَّها ستكون حياة جهاد وصراع روحي مع الشَّيطان إلى يوم مماتنا، لذلك فإنَّ جحد الشَّيطان يشدِّد على الجانب السَّلبي للمعموديَّة؛ أَلاَ وهو المَوْت عن الخطيَّة والصِّراع معها مدى الحياة.

"لا"... كلمة قصيرة لكن مؤثِّرة:

الحياة المسيحيَّة تبدأ بكلمة "لا"... ذات مرة سُئل كاتب متميِّز: "في رأيك، ما هي الكلمة المفيدة جدًّا التي تحويها اللُّغة الإنجليزيَّة؟" وبعد الاستغراق في التفكير بضع لحظات أجاب: "الكلمة 'لا 'No".

قال فيثاغورث Pythagoras الفيلسوف والرِّياضي الإغريقي هذه الكلمات: "إنَّ أقصر وأقدم الكلمات هي نعم و لا، اللَّتين تتطلَّب منكَ أنْ تفكِّر فيهما مليًا، فقدرتك على النُّمو والنُّضج وتكوين شخصيَّة مستقلَّة تتمَحْوَر حول تعلُّم قول "لا" لما يريدك الناس أنْ تكون عليه، وقول "نعم" لما دعاك الله لأنْ تكون عليه".

سألتْ أم ابنتها التي كانت في الصَّف الأول في دراستها الجامعيَّة عن الضغوطات الجنسيَّة التي واجهتها، فأجابت الفتاة: "إنِّي

مهتمَّة بموضوع تحرير المرأة، وأتعلَّم أنْ أكُون شخصيَّتي المستقلَّة. هذا يتضمن حقِّي أنْ أقول لا!"

وعندما فشل بيلاطس أنْ يقول "لا"، سَلَّم إنسانًا بريئًا إلى جماهير ثائرة ليُصلَب (مت ٢٧: ٢٢-٢٩).

وُصِفَت كلمة "لا" بأنَّها:

"الكلمة التي حقَّقت التوازن بين حكومات العالم،
والمفصل الذي يُثبِّت باب احترام الذَّات،
والسَّيْف الماضي الذي يحرس البَيْت".

كما **كانت كلمة "لا" هي العَقَبَة التي وضعها المسيح أمام المُجرِّب** (مت ٤: ٣-١١)، وهي أيضًا العَقَبَة التي نضعها اليوم أمام التَّجارب.

إنَّ الكلمة القصيرة "لا" بالغة الأهميَّة، وهي تفوق غيرها من الكلمات التي نستعملها، فمجرَّد قول كلمة "لا" القصيرة جدًّا للربِّ يسوع، بإمكانها أنْ تُرسل شخصًا إلى الجحيم، بينما قول كلمة "لا" القصيرة جدًّا للشَّيطان بإمكانها أنْ تصون العفَّة والأخلاق وسلامة العقل في عالمنا الغريب؛ وإنَّ افتقارنا لاستعمال الكلمة القصيرة جدًّا في كثير مِن الأحوال هو ما يقتادنا إلى كلِّ أنواع المشكلات.

سُئل حاكم ولاية سابق مرَّة: "ما هي أصعب مهمَّة تواجه مَن هم في منصبك؟" فأجاب ببساطة: "أنْ تقول 'لا'... فكثيرًا ما يكون قول 'لا' أقصر نهاية لِمَا قد يصير مشكلة عويصة".

أحد العوامل العظمى التي تجلب السَّعادة في جميع أنحاء العالم هو ضبط النَّفس وقوَّة التحكُّم في الذَّات، أي القدرة على التحكُّم في النَّفس بأنْ تقول "لا" للأمور الخاطئة. ذلك ما يبني العضلات... ذلك ما يصنع أشخاصًا أقوياء وسعداء... ذلك ما يصنع عمالقة في الأخلاق لا أقزام.

لماذا كثر التدهور الأخلاقي؟

يتساءل مَنْ ينزعجون لِمَا يحدث إلى معاييرنا الأخلاقيَّة اليوم قائلين: "ما الذي يحدث؟ لماذا استشرت الجرائم والأمور اللاأخلاقيَّة وعدم الأمانة فيما بيننا؟"

ليس هناك إجابة نهائيَّة حاسمة في هذا الأمر غير أنَّ الخطأ هو أنَّنا وَضَعْنا واحدة مِن أهم الكلمات في لغتنا، "لا"، الكلمة القصيرة المؤثِّرة جدًّا، في غير موضعها.

كتب أحدهم شهادة رائعة عن هذه الكلمة فقال:

"هناك شيء قاطع على نحو غالب فيما يتعلَّق بكلمة 'لا' النَّافية، فهي تضغط على موضع في الذهن يشبِه القفل محتجزة

كل شكوكنا وحيرتنا رافضة للأبد البدائل الأضعف. فلقد لعبت كل تصريحات الرَّفض المدويَّة دورًا مؤثِّرًا في تاريخ أمريكا مثل: "لا ضرائب دون تمثيل!" "يمكننا أنْ ندفع ملايين للدِّفاع لكن لن ندفع سنتًا واحدًا كجزية! "، كذلك كانت كلمة 'لا' هي نداء الرِّجال الأحرار للحرب... "لا للمساومة، لا للظُّلم، لا للطُّغيان".

رجال الكتاب المقدَّس:

إنَّنا نعيش في مجتمع متساهل في زمن فيه يُترَك الشَّر دون وجود معارض له. فليس مِن السَّهل للمرء أنْ ينهض ويقول "لا" عندما يكون مقتنعًا أنَّ أمرًا ما مخالفًا لمشيئة الله المقدَّسة، لكن ذلك الأمر بالتَّحديد ضروري جدًّا. إنَّ الكتاب المقدَّس يقدِّم أمثلة عديدة لأشخاص استطاعوا أنْ يقولوا "لا" في أوقات حرجة من حياهم. على سبيل المثال، قال إبراهيم "لا" لرغبته الطبيعيَّة بأنْ يُبقِي على حياة إسحاق ابنه (عب ١١:١٧)، وموسى قال "لا" لرغبته في أنْ يظلَّ في نعيم وأمْن بين أهل فرعون الملك (عب ١١:٢٤-٢٧)، وقال يوسف "لا" عندما تعرَّض لإغراءات زوجة فوطيفار (تك ٣٩:٩)، ورفاق دانيال قالوا أيضًا "لا" لإغراء أنْ يُنقِذوا حياهم مقابل السُّجود أمام صورة التِّمثال الذي عمله نبوخذنصر (دا ٣:١٦-١٨). جميعنا

يواجه الخطيَّة والشَّر في كلِّ يَوْم مِن حياتنا، إلاَّ أنَّ الله لم يتركنا وحدنا؛ فلقد أعطانا النُّور لكي نميِّز الشَّر. والقوَّة لكي نقاومه مِن خلال قول "لا". إنَّ هِبَة أنْ نقول "لا" هِبَة يتوجَّب علينا أنْ نصقلها لا بقسوة وعناد بل بفرح. عند قولنا "نعم" للربِّ يسوع يتعيَّن علينا أنْ نقول "لا" للشَّيطان... قال الربُّ يسوع: «**لا يقدر أحد أنْ يخدم سيِّدَيْن**» (مت٦: ٢٤).

المعموديَّة ليست تطعيمًا:

بعض الأشخاص يظنون أنَّه بمجرَّد نوالهم المعموديَّة يكونون بذلك قد حصلوا على الخلاص، وإنَّها بمثابة تطعيم لهم ينفعهم بقيَّة حياتهم، كما لو كان الأمر يحدث بصورة تلقائيَّة ولا يتضمَّن التزامًا أو أيّ شيء آخر. لكن هذا غير صحيح... وخطأ تمامًا! فعندما تعمَّدنا فإننا قطعنا عهدًا مع الله القدير مِن خلال أشابيننا، لكن إنْ لم نحفظ هذا العهد الذي قطعناه، فإنَّنا بذلك ننكر معموديَّتنا وكذلك ننكر الربَّ يسوع، ونَصُّ هذا العهد كالتَّالي:

"**أجحدُك أيُّها الشيطان، وكلّ أعمالك النجسة، وكلّ جنودك الشريرة، وكل شياطينك الرديئة، وكلّ قوّتك، وكلّ عبادتك المرذولة، وكلّ حِيلَك الرديئة والمُضلّة، وكلّ جيشك. كلّ سلطانك، وكلّ بقيَّة نفاقك. أجحدك. أجحدك. أجحدك**".

فواحدة مِن الأسباب التي لأجلها أعطانا الله إرادة حرَّة هي أنْ نقول "لا" للشَّيطان بعد أنْ نقول "نعم" للربِّ يسوع.

"لا" واحدة لكلِّ مرَّة:

تُرى كيف يتغلَّب المرء على عادة سيِّئة؟ الإجابة هي أنَّ المرء يتغلَّب عليها باتِّباع نفس الطَّريقة التي ابتدأ يتعوَّد عليها منذ البداية مرَّة وراء مرَّة. كذلك علينا أنْ نقول "لا" عندما نتقابل مع كلِّ اختبارٍ مِثْل الكأس التَّالي والسِّيجارة التَّالية وكمالة الطَّعام التالي، جرعة النميمة التَّالية... وعادة ما يكون الفِعْل التَّالي مُرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بسلسلة التعوُّد. لذا يمكنك أنْ تبدأ بقول "لا" في المرَّة التَّالية التي تكون فيها عرضة لإغراء النَّهم أو التَّدخين إلى أنْ تصل تدريجيًّا وبنعمة الله لأنْ تنكسر وتيرة الخضوع باستمرار لسلسة مِن الإغراءات المتماثلة. جديرٌ بالذكر أنَّ أحد أهداف الصَّوْم هو مساعدتنا على تقوية الإرادة والعزيمة، فحيث نقول "لا" للطَّعام نزداد قوَّة في التدرُّب على جحد إغراءات الشِّرير، ونتعلَّم قول "لا".

منذ وقت مضى كنتُ أفتقد رجلاً كان مدمنًا للكحوليات لكنَّه تخلَّص مِن مشكلته هذه منذ عدَّة سنوات. هذا الرجل لم يقدر أنْ يعزم أنْ يقول "لا" إلاَّ بعد فوات الأوان، فقد كان لزامًا عليه أنْ

يهوى إلى الحضيض لبلوغ التَّعافي كليَّة مما سبَّب له حزنًا طوال رحلة التَّعافي مِن الإدمان. وكان يمكن أنْ يتفادى كلّ ذلك لو اختــار أنْ يقول "لا" في وقت مبكِّر، لذلك لم يدرك أنَّ كلَّ يوم يمرُّ عليه يذخر له دينونة.

"لا" لأبنائنا:

أحد الجوانب الأخرى التي نحتاج فيها أنْ نقــول "لا" هــو تهذيب الأبناء وتربيتهم.

حَكَى أحد الآباء مرَّة وقال: "لدينا ثلاثة أبناء مراهقين أُصــيبوا بالدهشة حينما علموا أنَّ كلمة 'لا' ما تــزال موجــودة في القــاموس اللغوي، إذ ظنوا أنَّه تمَّ إلغاء هذه الكلمة في اليَوْم الــذي أصــبح فيــه البلوجينــز الغريب والجاكت المقلوب جزءًا مِــن الملابــس الرسميَّــة للمدارس".

لكن أحد المراهقين والبالغ مِن العمر ١٥ سنة قال: "لا يوجد أحد يقول 'لا' لأطفاله بعد الآن".

لذلك يتوجَّب علينا أنْ نتعلَّم أنْ نقول "لا" مِن جديــد، وأنْ نحافظ على روح الدُّعابة وحُسن التَّمييز اللذَيْن نتمتَّع بهما، ونستمرّ ولدينا القدرة على قول "لا" بالمحبَّة عند الضَّــرورة. والآن كيــف

سيتعلم أبناؤنا أنْ يقولوا "لا" للشيطان لو لم يسمعوا قط كلمة "لا" مِن والديهم! والحقيقة التي تدعو للسُّخرية هي أنَّ الأطفال غالبًا ما يريدون منَّا أنْ نقول "لا"؛ فالمساومات الضَّعيفة تصيبهم بالتَّشويش ويميلون بشدَّة إلى أنْ يثبتوا ولاءهم في شيء ثابت ومتين. فربَّما يصابون بالغرور لكن مِن الخارج وحسب، لكن حين يتعلَّق الأمر بقضايا أخلاقيَّة وسلوكيَّة جوهريَّة، فهم عادة ما لا يثقون في أيِّ شيء حتى رأيهم الشَّخصي. على ضَوْء هذا فإنَّ أحد أصعب الأمور المتعلِّقة بكونك أبًا أو أمًا هو أنْ تتمتَّع بالحريَّة في أنْ تقول "لا"، فالسيَّارة بدون فرامل ليست فقط غير نافعة، بل بالتَّأكيد خطيرة أيضًا. وهكذا فالشَّخص الذي فَقَدَ القدرة على قول "لا" هو شخص يُشكِّل خطورة كبيرة على نفسه والمجتمع أيضًا.

قول "لا" لغير الأمناء في العمل:

تُرى كيف سيتوقَّف الشَّر إذا لم نتَّخذ موقفًا ضدَّه؟

قصَّة:

ذات مرَّة أتى مدير إلى راعي كنيسته وهو متضايق جدًّا لأنَّه اكتشف أنَّ أحد الأشخاص المتميِّزين الذين يعملون لديه في قسم المبيعات يختلس أموالاً كثيرة مِن حسابات المصروفات. وعندما قام

بتوبيخ هذا الشَّخص المتَّهم تحدَّاه باعترافه بأنَّ الجميع يفعلون ذلك، وأنَّ ذلك أصبح أسلوب الحياة الأمريكي.

تساءل المدير المنــزعج إنْ كان بإمكانه أنْ يأخذ الموضوع في الاتِّجاه المعاكس، فأجابه الرَّاعي: "بيل، إنَّ أساس عملك هو الثِّقة في النَّفْس واحترام الذَّات". قال ألفريد تنيســون Alfred Tennyson: احترام الذَّات ومعرفة الذَّات وضبط الذَّات، هذه الثَّلاثة تقود الحياة إلى سلطة السِّيادة. تُرى ما الذي يحدث لاحترامك لِذاتك لو أنَّــك سامحتَ هذا الشَّخص المُخطئ في قسم المبيعات؟

فقال بنبرة كئيبة: "أتقصد أنَّه عليَّ أنْ أفصله؟"

فردَّ الرَّاعي قائلاً: "ليس هذه المرَّة، لأنك لو فعلتَ ذلــك سيغش شخصًا آخر، بل يمكنك أنْ تستدعيه مرَّة أخرى وتخــبره بأنَّ عدم أمانته تجعلك غير أمين وأنَّك لن تتحمَّل ذلك، لذا ففي حال تكرار نفس الأمر ستقوم بفصله على الفور... يمكنــك أنْ ترفض ما فَعَلَه رفضًا باتًا وأنْ تقول له: "لا" للسَّرقة، وأنْ تتمسَّك برأيك".

ففعل المدير بالضَّبط كما قال الرَّاعي له، وكانت النتيجــة أنَّ موظَّف المبيعات لم يتقبَّل إنذار المدير فحسب، بل في النّهايــة أتــى وقدَّم الشُّكر إليه بفضل أنَّه جعله يقول "لا" لعدم أمانته.

تُرى كيف كانت ستتوقّف عدم الأمانة ما لم يُتَّخذ موقف ضدَّها؟ إنَّنا بحاجة إلى رجال كثيرين أمثال القـديِّس أثناسـيوس الرَّسول الحامي العظيم للإيمان الثالوثي، إذ حينما قيل له إنَّ العالم كلّه ضدَّك، فردَّ ببساطة: "وأنا وحدي، إن اقتضت الضَّرورة، ضدّ العالم!"، وكأمثال جيش القدِّيسين والشُّهداء مِن أمثاله، استطاع أثناسيوس أنْ يقول: "لا" للعالم، لأنَّه قال: "نعم" للربِّ يسـوع، الذي منه، ومنه فقط تتأتَّى لنا القوَّة لأنْ نقول: "لا".

ترتيب الأولويَّات من خلال تعلُّم قول "لا":

منذ وقت طويل تعلّمتُ أنَّه لكي ما أرتِّب أولويَّـاتي في الحياة عمومًا، يتوجَّب على المرء أنْ يرتب أولويَّاته ويـتعلَّم أنْ يقول "لا" للأمور الحياتيَّة الأصغر مِن حيث الأهميَّة، وإلاَّ فـإنَّ هذه الأمور الصَّغيرة ستستولي عليكَ وتبتلعكَ حيًّا. حين سألتُ عازفة البيانو الشابَّة عن سرِّ نجاحها المبهر الذي حقّقته مع هذه الآلة، فأجابتني قائلة: "السِّر يكمن في ما أدعـوه "التجاهـل المتعمَّد"، فلقد خطَّطتُ مسبقًا بملء الإرادة أنْ أقول 'لا' في كل يوم لجميع الأنشطة الأخرى حتى ما أنتهي مِن فترة تدريبي؛ ولو أنَّني ما فعلتُ ذلك لفقدتُ مهمَّتي الرئيسيَّة وأصبحت الحيـاة ذات إيقاع روتيني مُمِل".

نفس الشيء يسرى على وقتنا الذي نقضيه مع الله بمشاركتنا الأسبوعيَّة في الليتورجيَّة والصَّلاة اليوميَّة ودراسة الكلمة. إذا كنَّا نعقد العزم أنْ نقول "لا" لبعض الأمور الحياتيَّة البسيطة، فلن نجد أنفسنا مفتقرين لوقت لكي نقضيه مع ربّنا يسوع المسيح.

قَوْل "لا" هو نتيجة ثانويَّة:

إنَّ كلّ هذا الحديث عن قول "لا" للشَّيطان، يُولِّد انطباعًا بأنْ لُبَّ المسيحيَّة هو أنْ تقول "لا" للإغراءات ، لكن ذلك ليس هو اهتمامنا الأساسي، فهو مجرَّد أمر ثانوي فَرْعِي. بينما ينصبُّ الاهتمام الأساسي للمسيحيَّة في تمكيننا مِن أنْ نقول "نعم" لله في المسيح. صحيح أنَّ ذلك يعني الاستمرار في قول "لا" لأشياء عدَّة نرغب بشكلٍ مستمر في فعلها، إلاَّ أنَّ المسيحية لا تقول مطلقًا "لا" إلاَّ عند التأمُّل في مستوى أعلى، وهو قول "نعم" للرَّب يسوع. فما يساعدنا على ترتيب أولويَّاتنا وإدارها ويعطينا القوَّة بأنْ نقول "لا"، هو نور الرَّب يسوع، الذي يحفظنا مِن أنْ ننخدع وننقض احترامنا لذواتنا.

مِن لا إلى نعم:

إنَّ الحياة المسيحيَّة تبدأ بجحد الشَّيطان إبليس. لكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، فالحياة المسيحيَّة لا يمكن أنْ تُبنَى فقط على

النَّواهي والمحرَّمات والموانع، إذ يتعيَّن علينا أنْ نقول "نعم" لشيء ما، ونَدْعَم شيئًا ما، ونتخطَّى الطَّرد السَّلبي للشَّيطان، وننتقل للتَّأكيد الإيجابي لِمَا هو صالح. إنَّ قول "لا" للشيطان في المسيحيَّة هو نتيجة ثانويَّة لأمرٍ أهم، وهو قول "نعم" للرَّب يسوع. لهذا السَّبب يحدث شيء بالغ الأهميَّة في المعموديَّة فَوْر قولنا "لا" للشَّيطان، وهو أنَّه أثناء جحد الشَّيطان يلتفت الشَّخص المؤهَّل للمعموديَّة أو الإشبين إلى جهة الغرب، بعيدًا عن المذبح، فالغرب حيث غروب الشمس الاتِّجاه الذي كان يظن اليونانيُّون في القديم أنَّه جهة أبواب الهاوية، ومكان الظُّلمة. لهذا ففي أثناء جحد الشَّيطان الذي هو سيِّد الظُّلمة، يُحوِّل المُقبل على المعموديَّة وجهه إلى ناحية الغرب، قَبْل أنْ يلتفت بوجهه ناحية الشَّرق حيث تُشرق نور الشُّمس، ثم يُطلَب مِنْه أنْ يعترف بقبول الرَّب يسوع الذي هو نور العالم.

ونظرًا لأنَّنا كنَّا صغارًا حين تعمَّدنا، وأنَّ أشابيننا قطعوا بعض العهود المهمَّة جدًّا نيابة عنَّا في تلك المرحلة، فإنَّ عهودنا بحاجة إلى أنْ يجدِّدها كلّ فرد فينا بشكل يومي، لذا دعوني أُردِّد على مسامعكم العهود التي قطعها أشابيننا نيابة عنَّا كما هو موضَّح في نَصٍّ طقس المعموديَّة المقدَّسة.

عهود قُطِعَت لله (لاحِظ أنَّ نص هـذا الطَّقس بحسب الكنيسة البيزنطيَّة):

يُسأل الإشبين: "هل آمنتَ بالسيِّد المسيح؟" هـذا السُّؤال يُطرَح ثلاث مرَّات، ويجاوب عليه الإشبين نيابة عن الطِّفل ثلاث مرَّات بالقول "آمنت!"

"هل اتَّحدت بالمسيح؟"

"نعم"

هل تؤمن به؟"

"أومن به كمَلِكِي وإلهي".

بعدئذٍ يعترف الإشبين بصحَّة الإيمان المسيحي نيابة عن الطِّفل عن طريق تلاوة قانون إيمان نيقية، وهو نفس قانون الإيمان الذي نحن مدعوُّون لترديده في كلِّ مرَّة نشترك فيها في القدَّاس الإلهي مِن خلال تلاوته. إنَّ تلاوة قانون الإيمان في الليتورجيَّة يُعيد التَّأكيد على إيماننا بسرِّ المعموديَّة المقدَّسة.

وبعد تلاوة قانون الإيمان يَسأل الكاهن الإشبين مرَّة ثانية:

"هل اتَّحدت بالمسيح؟"

"نعم".

يتكرَّر هذا السؤال والإجابة ثلاث مرَّات.

ثم يقول الكاهن: "إِنْحَنِ أمامه".

وبينما ينحني الشخص المُقْبِل على المعموديَّة يُردِّد قائلاً: "أنحني أمام الثَّالوث القدُّوس، الآب والابن والرُّوح القُدُس، الإله الواحد في الجوهر. آمين".

فعندما يُطرَح علينا السُّؤال: "هـل اتَّحـدتَ بالمسـيح؟" ونجاوب عليه بِـ "نعم، فإنَّنا ببساطة ننسب نفوسـنا للمسـيح ونصير متَّحدين به، وبالتَّالي يحيا فينا ونحيا فيه، ويصـبح شـعار حياتنا شعار القدِّيس بولس الرَّسول: «**فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ**» (غل٢: ٢٠).

والسُّؤال: "هل تؤمن به؟" والرَّد: "أومِن به كمَلِكِي وإلهـي"، يحدِّدان نوعيَّة اتِّحادي بالمسيح بإيماني بأنَّه هو ملِكِي وإلهي.

إنَّ مِلْكيَّة المسيح لحياتي تعني أنَّني أضع ذاتي لولائه وسـيادته وأصبح خادمه وأطيع وصاياه، ويصبح هو علـى رأس أولويَـاتي في الحياة، وأحبُّه وأعبده مِن كلِّ نفسي وقدرتي وفكري.

أمَّا الكلمة: "أنحني"، فهي تُترجِم الإيمان بالمسيح كمَلِـك إلى عبادة. نحن مدعوُّون لأنْ ننحني ونعبد الآب الذي خلقنا والابن الذي

فدانا والرُّوح القُدُس الذي قدَّسنا. فمِن تلك اللحظة فصاعدًا تصبح حياتي المسيحيَّة حياة عبادة وتمجيد لذاك الإله الحقيقي وحده.

تجاوُب شخصي ضروري:

وهكذا فنحن نبدأ حياتنا المسيحيَّة **أولاً** بقول "لا" للشَّيطان، **وثانيًا** بقول "نعم" للربِّ يسوع والثَّالوث القُدُّوس، لأنَّ "لا" للشَّيطان و "نعم" لله قالها نيابة عنَّا شخص آخر في المعموديَّة؛ لذلك فإنَّه لأَمر ذو أهميَّة بالغة أنْ نكرِّر بصورة شخصيَّة بنفوسنا، كلاًّ مِن جحد الشَّيطان والاعتراف بالرَّب يسوع عندما نبلغ سن الإدراك، لأنَّ المعمودية ليست طريقًا إلهيًّا يوصِّلنا تلقائيًّا إلى السَّماء. كما أنَّه لا يمكننا أن ندخل السَّماء على حساب إيمان شخص آخر، كما كتب د. نيكوس نيسيوتيس Nikos Nissiotis:

> **"إنَّ الأطفال الذين نالوا المعموديَّة، لا سيما في الكنائس التي تُمارَس فيها معموديَّة الصِّغار، بحاجة إلى أن يتَّخذوا قرارًا شخصيًّا فيما يتعلَّق بإيمانهم المسيحي الذي توارثوه دون عناء من البيئة المسيحيَّة التي نشأوا فيها".**

يكتب رئيس الأساقفة إيملانيوس تيميادس Metropolitan Emilianos Timiadis:

"هناك أعداد كثيرة من المسيحيِّين المُعمَّدين غير مشهود لهم هذه الأيام، فهم قد تلقوا الإيمان من أبائهم خلال مرحلة الطُّفولة ولم يفعلوا أكثر مِن ذلك، ومِثْل هؤلاء بحاجة إلى أنْ يتقابلوا مع المسيح الحيّ، وأنْ يقطعوا عهدًا ناضجًا لأنْ يحيوا حياة إيمان حيّ".

علاقة بين طرفَيْن:

إنَّ أيَّة علاقة لا بدَّ وأن تكون بين طرفَيْن اثنَيْن. والطِّفل المُعمَّد لم يكن قد أقام علاقة مع الله بعد، لكن الله وهو أحد طرفَي العلاقة أخذ بزمام المبادرة، فالله يحبّنا منذ اللحظة الأولى التي كنَّا فيها في الرَّحم، لذا أخذ بزمام المبادرة لإقامة العلاقة معنا. ومعموديَّة الصِّغار هي تعبير عن محبة الله المتودِّدَة منذ اللحظة الأولى في الحياة، أمَّا فيما يتعلّق بالطَّريقة، فنجد الكثيرين يرفضون محبَّته، وكأنَّ الله يجب أنْ يكون أعظم محبٍّ خُدِع في الكَوْن، ويمكننا أن نتصوَّر مدى انكسار قلبه.

لكن ما إنْ يكبر الطِّفل الصَّغير ويصبح على دراية بإيمانه بالرَّب يسوع المسيح، وفيما ينظر للوراء يُدْرِك حقيقة أنَّ شيئًا ما أو شخصًا ما اقتاده إلى هذه الممارسة الإيمانيَّة، فيُدرِك في النّهاية أنَّ كلّ شيء قد بدأ هناك في المعموديَّة عندما جاء إليه الله، عندئذ يتجاوب تجاوبًا شخصيًّا مع الله ويقدِّم له الحياة. يُعدُّ ذلك بالنِّسبة للبعض خِبْرة

فجائيَّة يُطلِقون عليها "الولادة الثَّانية"، بينما للبعض الآخر يُنظَر إليها باعتبارها نموًّا تدريجيًّا. لا يهمُّني ماذا تُطلَق عليها، لكن ما يُشكِّل أهميَّة هو أنَّها لا بُدَّ وأنْ تحدث، كما يجب علينا أنْ ندرك ما فعله الله لنا في المعموديَّة المقدَّسة، ونتجاوب بشكلٍ شخصيٍّ بقول "نعم" للرَّب يسوع و "لا" للشيطان.

إنَّ المرء لا يصبح مسيحيًّا بطريقة تلقائيَّة. الأب شميمن، وهو لاهوتي أرثوذكسي مرموق، قال ذات مرَّة:

"ليس مجرَّد الانتماء للكنيسة هو ما يخلِّص، لأنَّه ما مِن سِحر في المسيحيَّة؛ لكن ما يخلِّص هو قبول روح المسيح".

قال القدِّيس بطرس الرَّسول: «**توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطيَّة الرُّوح القُدُس**» (أع ٢:٣٨). وهكذا لكي يصبح المرء مسيحيًّا حقيقيًّا، يتعيَّن عليه أنْ يقبل بملء إرادته التَّجديد، ويتوب ويلجأ للمسيح ويقبل عطيَّة الرُّوح القُدُس.

مبادرة الله وتجاوب الإنسان:

في المعموديَّة يوجد دور للإنسان ودور لله. دور الإنسان هو أنْ يتجاوب مع مبادرة الله ويقبل العطيَّة ويعزم بإيمان أنْ يتبع المسيح كربّ له.

يكتب الأب ثيودور ستيليانوبولوس Fr. Theodore Stylianopoulos، وهو دارس وباحث مرموق في العهد الجديد:

"بالنِّسبة لغالبية المسيحيِّين الأرثوذكسيِّين، يبدأ التجاوب مع الله منذ الصِّغَر في المعموديَّة، إذ مِن خلالها يَقْبَل كل مسيحي أرثوذكسي المسيح والرُّوح القُدُس على نحو سرِّي. ويكون التجاوب مع الله مِن خلال الأبوَيْن أو الإشبين الذي يعترف بقبول المسيح ويتعهَّدون له بأنَّ 'هذا الطِّفل مِلْكُكَ!'"

ويضيف قائلاً:

"عندها تصبح غاية الحياة المسيحيَّة هي أن تكون على دراية جيدة وواعية بالمسيح والروح القدس. وبينما ينمو الشخص المُعمَّد وينتقل مِن مرحلة الطُّفولة إلى النُّضج، ويشارك في الطقوس السرائريَّة للكنيسة، يصبح تجاوبه الشَّخصي ذا أهميَّة قصوى. لذا يتعيَّن على كلِّ مسيحي أنْ يُعيد التَّأكيد على عهد معموديَّته بنفسه، عن طريق التَّوْبة بإرادة حُرَّة للمسيح... 'نعم، أنا مِلكك!'، فالنَّهضة الروحيَّة تنبع مِن هذا الالتزام النَّاضج للمسيح والمشاركة في سرِّ الإفخارستيَّا والصَّلاة اليوميَّة والجهود الصَّادقة لأنْ تعيش نوعيَّة الحياة التي عاشها المسيح وكرز بها".

الماسة الثمينة:

تُعتبر ماسة كوه إي نور Koh-i-noor مِن بَيْن أكثر الأمور المثيرة في العالم، فلقد تسلّمتها الملكة فيكتوريا كهديَّة مِن أمير هندي وهو في صباه. لكن حينما كبر المهراجا قام بزيارة الملكة فيكتوريا في إنجلترا وطلب منها أنْ تنقل الحجر الكريم من برج لندن إلى قصر بكنجهام. لكن بعدما أخذ الماسة جثا المهرجا على ركبتَيْه أمام الملكة وأعطاها الماسة ثانية وقال لها: "جلالة الملكة، لقد أعطيتكِ هذه الجوهرة حينما كنتُ طفلاً صغيرًا جدًّا عن أنْ أستوعب ما كنتُ أفعله آنذاك، لكنِّي الآن أودُّ أنْ أرجعها إليكِ مرَّة أخرى وأنا في كامل قواي، وأهديها مِن كلِّ قلبي وعواطفي وامتناني من الآن وإلى الأبد، وإنَّني لَمُدرِك تمامًا كل ما أفعله".

قرار التزام:

إنَّ قرار الالتزام الذي اتَّخذه بدلاً عنَّا أشابيننا، بحاجة الآن إلى أنْ يصنعه كل واحد منَّا بصورة شخصيَّة، كما أنَّ الماسة الثَّمينة الخاصَّة بإيماننا بحاجة إلى أنْ تُقدَّم إلى الربِّ يسوع أيضًا بصورة شخصيَّة. دعوني الآن أشارك معكم الطريقة كيف فعل ذلك أحدهم...

بعد موت أحد المرسَلين، عُثِر على ورقة قديمة بالية مصفرة اللون بين الأوراق التي تركها، هذه الورقة تُسمَّى: "قرار الالتزام".

كان هذا المُرسَل قد وقّع هذه الورقة في عيد ميلاده السادس عشر عندما كان طالبًا، ومنذ هذه السَّنَة فصاعدًا ظلّ يضيف توقيعه سنة وراء الأخرى إلى أنْ وصل للسَّنة الخامسة والثَّمانين.

تضمَّن "قرار الالتزام" هذا تجديد العهد الذي قطعه في معموديَّته بصفة شخصيَّة، وتسليم حياته لله، وجحده لكل الأرباب الأخرى. كذلك كرَّس لله كل حياته الماضية وكل ما كان يمتلكه: عقله وجسده وممتلكاته ووقته، بل وحتَّى تأثيره على الآخرين مِن حوله لكي يؤول الكلّ لمجد الله. وأنهى هذه القرار الشَّخصي بالعبارة: "إليكَ أتركُ إدارة كلّ الأحداث وأقول بدون تحفُّظ: 'لتكن لا إرادتي بل إرادتك'".

العهد لا يجب أنْ يُكتَب على ورق طالما كُتِب في القلب. إنّ حياة الالتزام للربّ يسوع يمكن أنْ تكون أكثر حياة تقضيها في شبع، فعندما نُخضع ذواتنا بالكامل لله، فنحن بذلك نُدَرِّب ذواتنا على حياة المغامرة والصِّراع والإثارة وفرح الخدمة العميق الدَّائم.

وكمسيحيِّين نلنا المعموديَّة في الصِّغَر، نحتاج أنْ نُكرِّر الكلمات والعهود التي قُطِعَت نيابة عنَّا مِن خلال أشابيننا منذ وقت طويل مضى، كذلك نحتاج أنْ ننحني أمام الرَّب يسوع ونصلّي:

≻ صـــلاة ≺

"ربِّي،

أُريد أن أعطيك حياتي،

التي أعطيتها لك منذ سنين عدَّة مرَّات،

مِن خلال إشبيني في العموديَّة المقدَّسة.

كما أريد أنْ أعطيك إيَّاها ثانية بامتنان،

وأنا أستوعب تماماً ما أفعله.

وأريد أنْ أجحد الشَّيطان وكلّ أعماله،

وأَقْبلُك ربّاً حقيقيّاً لحياتي.

وإنَّني أنحني أمام الثالوث القدوس:

الآب والابن والروح القدس،

الإله الواحد في الجوهر،

لك كل المجد مِن الآن وإلى الأبد،

آمين".

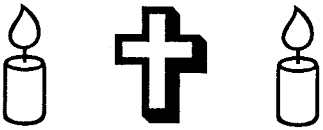

الأسبوع الثالث مِن الصَّوم المقدَّس

أحد الابن الضَّال

الحريَّة

«رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ أرْسَلَنِي لأُنَادِيَ لِلْمَاسُورِينَ بالإِطْلاَق، وَأرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ»

(لو٤: ١٨)

☆ ✵ ✞ 🕯 📖 ✞ 🕯 ✵ ☆

كيف يمكن أنْ تتحرَّر:

كان خطيب يتحدَّث عن الحريَّة، وإذا بأحد الشَّباب مِن الجمع يصيح: "لماذا لا تخبرهم الحقيقة كلّها؟ لماذا لا تقول لهم إنَّ الحريَّة التي يمكن لأيٍّ واحد أنْ ينالها هي أكثر العطايا خطورة؟ لماذا لا تُطلعهم على أنَّها سيف ذو حدَّيْن يمكن أنْ يدمِّرنا ما لم نتعلَّم بسرعة كيف نستخدمها؟ لِمَ لا تجعلهم يرون أنَّنا نواجه تحدِّيًا أعظم مِمَّا واجهه أسلافنا قط؟ فقد كان عليهم فقط أنْ ‹يحاربوا› لأجل الحرية، أمَّا نحن فعلينا أنْ ‹نحيا› بها".

هناك مَن هم فخورون بأنَّهم يعيشون في أُمَّة يجدون فيها الحريَّة السياسيَّة، لكن المفارقة هي أنَّ أغلبنا لسنا أحرارًا، فنحن عبيد لنوع أو آخَر مِن العبوديَّة: عبيد للجشع والطَّمع، للشَّهوة، لاشتهاء الطَّعام، للمخدِّرات، للكحول. قال Rousseau: "يولد الإنسان حرًّا، ومع ذلك فهو أينما ذهب مكبَّلٌ بالقيود!"

الشَّخص المحدَّد في طموحاته الجنسيَّة بتعاليم المجلات الجنسيَّة الشهوانيَّة Playboy يظن أنَّه وجد الحريَّة، إلاَّ أنَّها ليس حريَّة بل هي عبوديَّة إساءة استخدام شخص آخر بتجريده مِن إنسانيَّته وشخصيَّته، فليس هناك أيَّة حريَّة في هذا النَّوْع مِن المجلات، وهو مستعبد لهذه الشَّهوات العميقة التي تُكرهه لممارستها.

إنْ لم تكن هذه حريَّة، فما هي؟ إذا كانت الحريَّة السياسيَّة لا تجعلنا بالضَّرورة أحرارًا، فما هو الذي يحرِّرنا؟ لنذهب إلى الكتاب المقدَّس ولخالقنا لنرى بدقَّة ما هي هِبَة الحريَّة هذه.

لقد خلق الله الإنسان حُرًّا:

الإنسان ليس حرًّا لأنَّ الحكومة أو أيَّة منظَّمة منحته الحريَّة، إنَّما هو حُر لأنَّه قد خُلق على صورة الله: «**خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ**» (تك١:٢٧). الإنسان ليس إنساناً آليًّا، ليس ماكينة، حتى تتحكَّم فيه أيَّة قوَّة خارجيَّة مثل دمية ذات

زنبرك، وليس هو حيوانًا مُنقادًا بغريزة عمياء، فهو إنسان يمتلك كـل قدرات اتِّخاذ القرار التي وهبها له الله نفسه. إنَّه حر وحريَّته مرتكزة في الله الذي خلقه. لكن ما إنْ ينسى الإنسانُ الله، حتى لـو كـان هـذا بدعوى الحريَّة، يبدأ يبني عبوديَّته: عبوديَّته لذاته أو لهتلر أو لأيٍّ أحـد آخر أو شيء آخر، وهذه هي الكارثة القصوى.

وقال Rheinhold Neihbur:

"مصدر كرامة الإنسان الرَّئيسي هو حريَّته وقدرته على تقرير مصيره".

وبالنِّسبة للقدِّيسين غريغوريوس النيصي ومكسيموس المعتـرف، الحريَّة هي العنصر الجوهري لمشابهة الإنسان لله؛ وتمرُّد الإنسان على الله يجرِّده مِن الحريَّة، ويجعله ‹عبدًا للجسد› والفساد والخطيَّة والموت. لقـد أتى مخلِّصنا يسوع ليحرِّر الإنسان مِن هذه العبوديَّة، وليطلقه حرًّا مـرَّة أخرى: «**رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ أَرْسَلَنِي لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُـورِينَ بـالإِطْلاَقِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ**» (راجـع لـو٤:١٨). إنَّ الْمَأْسُـورِينَ وَالْمُنْسَحِقِينَ هم أنت وأنا.

الشَّيء الذي يجعلنا بَشَرًا على نحو فريـد، هـو أنَّـه خلافًـا لمخلوقات الأخرى فنحن قادرون أنْ نقول لله: "نعم أو لا". الإنسان

لا يُتَمِّم عن اضطرار إرادة خالقه. وخلافًا للكواكب والحيوانات، فهـــو يستطيع أنْ يرفض أنْ يُطيع خالقه، لأنَّ الله يريد أبناءً وليس عبيدًا.

ويقول ‹دستويفسكي Dostoevsky›:

"إنَّ رغبة الإنسان في أنْ يكون حرًّا هي عظيمة، حتى إنَّه يفعل الأمر الخطأ عن عمد ليبرهن على ذلك، ويكتب: "مِن قِبَـــل العُقوق التام يخدعك الإنسان خدعة حقيرة، ليبرهن علـــى أنَّ الناس ما زالوا أناسًا وليسوا مفاتيح بيانو".

حتى النُّظُم الدكتاتوريَّة التي تُنكر أنَّ الإنسان حُـــر، تنتـــزع الاعترافات بالذَّنب مِن الأفراد الذين هم ـــ حسب زعمهم ـــ ليسوا أحرارًا بل هم مجرَّد منتجات بيئتهم. إنَّهم ينكرون الحريَّة في جانب، ويعترفون بها في الآخر.

يكتب Dostoevsky:

"الحكَّام الطغاة والمستبدُّون يرفضون حريَّة الآخرين، لكنَّهم يحبُّونها لأنفسهم، وهم دائمًا ما يصرُّون عليها لأجل رفاق رحلاتهم وللذين على صِلة بهم، لكنهم حقًّا يحبُّـــون الحـــر الذي يُقر بالحريَّة لأجل رفاقه".

المفهوم الأرثوذكسي لعمل الإنسان مع الله synergy:

الكنيسة الأرثوذكسيَّة علَّمت دائمًا بأنَّ الله خلق أبنـــاءً ولـــيس

عبيدًا أو بشرًا آليين، ومِن ثم يحترم بشدَّة حريَّة الإنسان. ولوصف العلاقة بين الله والإنسان في المفهوم الأرثوذكسي ابتُكِرَت كلمة ‹Synergeia›. وهي تأتي مِن كلمات القدِّيس بولس: «**فَإِنَّنَا نَحْنُ عَامِلاَنِ** ‹Synergoi› **مَعَ اللهِ**» (١كو٣: ٩). «**هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ، إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ**» (رؤ٣: ٢٠). الله يقرع، وهو يحترم حريَّة الإنسان، وينتظر الإنسان أنْ يفتح له، فهو لا يقتحم الباب. ونقرأ في كتاب ‹الروحانيَّة الأرثوذكسيَّة›: ”اندماج الإنسان في المسيح واتِّحاده بالله يتطلَّب تعاون قوَّتين غير متكافئتَيْن، لكنَّهما بالضَّرورة مُتواجدتَيْن: النِّعمة الإلهية والإرادة الإنسانيَّة“ وأعظم مثال لذلك هو **‹أم الله›**.

يكتب الأب نيكولاس كاباسيلاس ويقول:

”التجسُّد لم يكن فقط عمل الآب، بقدرته وروحه، بل كان أيضًا عمل إرادة وإيمان العذراء. فبدون موافقة وقبول النقيَّة الطَّاهرة، واتِّفاق إيمانها، لكان قد تعذَّر إتمام الخطَّة كما لو بدون تدخُّل الثلاثة أقانيم أنفسهم. لقد تمَّت فقط بعد أنْ أُعلمت واقتنعت بأنَّ الله اختارها لتكون أُمّه واستعار منها الجسد، حينئذ تاقت بشدَّة أنْ تعيره إياه. وكما أنَّه تجسَّد طوعًا، هكذا رغب أنْ تحمله أمه باختيارها ورضاها التام“.

في شخص العذراء، أعطت البشريَّة قبولها ورضاها بأنْ يصير «الكلمة» جسدًا ويأتي ليسكن بيننا، لأنَّ الله لا يمكن أنْ يخلِّصنا بدون إرادتنا.. ‹Synergy›.

مخاطر الإرادة الحرَّة:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ اختيار الله أنْ يعطي البَشَر حريَّة الإرادة، تضمَّن مخاطرة، فحريَّة الإرادة هي التي أضفتْ السُّهولة على ارتكاب الخطيَّة والشَّر. إنَّ أسوأ شيء في العالم ــ أي الخطيَّة ــ تنتج عن أعظم منحة يمتلكها الإنسان أي: حريَّة الإرادة.

لماذا جازف الله هذه المجازفة؟ لماذا خاطر الآباء هذه المخاطرة؟ أليس مِن الخطورة أنْ ننجب طفلاً في العالم؟ افترض أنَّ هذا الطفل فسد، فهذا سيكسر قلبه وقلوب الآباء. لماذا إذن يُنجب الآباء؟ لأنَّ المحبَّة تحتاج إلى أهداف يمكن أنْ تُسْبَغ عليها هذه المحبَّة وتكون محبوبة في المقابل، و«**الله مَحَبَّةٌ**» (١يو٤: ٨).

حريَّة الإرادة، برغم أنَّها تجعل الشَّر ممكنًا، فهي أيضًا الشيء الوحيد الذي يجعل ممكنًا أنْ يستحق اقتناء أيَّة محبَّة أو صلاح أو فرح. عالَم الإنسان الآلي سيكون بصعوبة يستحق أنْ يُخْلَق، فهو لا يستطيع أنْ يحب ولا يمكن أنْ يكون صالحًا. السَّعادة التي قصدها الله لأسمى مخلوقاته هي سعادة أنْ يكون حرًّا، وبإرادته

يتَّحد به وبكلّ أحد آخر في نشوة محبَّة وبهجة تكون معها أقصى نشوة حُب بين رجل وامرأة على هذه الأرض؛ ولأجل هذا ينبغي أنْ يكونوا أحرارًا.

سأل أحد الطَّلبة أستاذه: "إنْ كان الله قد عرف مسبقًا أنَّ الناس سيخطئون، فلماذا سار قُدُمًا وخلقنا وأعطانا القدرة على الاختيار؟" نظر الأستاذ في عينيه مباشرة وقال: "واضح أنَّ الله حسب أنَّك تستحق المخاطرة". هكذا اختار الله أنْ يعمل كونًا فيه فضيلة مشروطة بالحريَّة. لا يمكن للإنسان أنْ يكون بطلاً إلاَّ في أرض المعركة حيث يكون بالإمكان أيضًا أنْ يكون جبانًا. ولا يمكن أنْ يكون قدِّيسًا إلاَّ في عالم يكون في الإمكان أيضًا أنْ يكون خائنًا، لا يمكن أنْ يكون مثل ‹بطرس› إلاَّ في وضع يكون فيه بإمكانه أنْ يكون مثل ‹يهوذا›: لا حريَّة = لا فضيلة، لا حريَّة = لا محبَّة حقيقيَّة.

النَّاس أحرار في أنْ يفعلوا أيَّ شيء يريدونه، لكنَّهم ليسوا أحرارًا لاختيار التَّبعات. أنتَ تحصد ما زرعته: «**لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً**» (غل٦:٨). ويقول ‹جوته› "اختر حسنًا، فاختيارك رغم أنَّه قصير الأمد، إلاَّ أنَّه ومع ذلك لا نهائي".

متى يكون المرء حُرًّا بالحقيقة؟

يستطيع المخلوق أنْ يقول لله ''لا''، لكن عندما يفعل ذلك فهو يخسر حريَّته. نستطيع أنْ نستخدم حريَّتنا لنستعبد أنفسنا، وغالبًا ما نفعل هذا، ويقول الرَّب يسوع: «**إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ**» (يو٨: ٣٤). وعندما نقول لله ''نعم'' حينئذ فقط نسترجع حريَّتنا الحقيقيَّة. ونرى ذلك في مثل الابن الضَّال، فعندما قال لأبيه ''لا'' انتهى به الحال كعبد في مزرعة خنازير، لكن عندما رجع لأبيه استردَّ حريَّته السابقة وغيَّر اتجاه كل حياته.

يقول القدِّيس باسيليوس St. Basil:

[الرُّوح القدس لا يحرم أيَّ إنسان مِن قدرته وحريَّته، بل امتلاك الشَّيطان له هو الذي يفعل ذلك].

ويصلِّي القدِّيس أوغسطينوس ويقول:

[إنْ جعلتني أسيرك يا رب، حينئذ أتحرَّر].

ويقول Alfred Tennyson: ''إرادتنا مِلْك لنا، وإنْ كنَّا لا نعرف كيف، وإرادتنا لنا لنجعلها لك''.

نحن لا نجد الحريَّة الكاملة إلاَّ في طاعة إرادته. الإنسان الذي ينعم بالحريَّة إلى أقصى درجة هو الخاضع لله في المسيح إلى أقصى درجة. لقد كان المسيح أكثر شخص حُر قد وُجد قط لأنَّه صنع إرادة أبيه لأقصى درجة: «**لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي**» (يو٥: ٣٠). «**طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الآبِ**» (يو٤: ٣٤).

«**تَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ**» (يو٨: ٣٢). فقط عندما نعرف حق قوانين الطيران نكون أحرارًا أنْ نطير. وبنفس الأسلوب تمامًا، فإنَّ قَصْد وصايا الله ليس هو أنْ تُقيِّد حريَّتنا، بل لتحرِّرنا لكي نتمتَّع بالحياة التي أعطاها الله لنا. في إرادته حريَّتنا.

ويقول القدِّيس أوغسطينوس:

[أحبب الله واعمل ما شئت].

المسيح هو الوحيد الذي يحرِّرنا: «**إِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ فَبالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً**» (يو٨: ٣٦). «**إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كلامِي فَبالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تلامِيذِي وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ**» (يو٨: ٣١و٣٢). «**حَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ**» (٢كو٣: ١٧). المسيح يُمَكِّننا أنْ نختبر «**حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ الله**»(رو٨: ٢١).

إنَّ كلمة الله في الكتاب المقدَّس تدعونا باستمرار أنْ نستخدم حريَّتنا الحرَّة في اختيار أسمى ما في الحياة، الاختيار الذي هو فوق كل اختيار آخر، الاختيار الذي تعتمد عليه أبديَّة كل منَّا، الاختيار الذي مِن أجله أعطانا حريَّة الإرادة كأسمى ما في حياتنا :«**قَدْ جَعَلتُ قُدَّامَكَ الحَيَاةَ وَالمَوْتَ... فَاخْتَرِ الحَيَاةَ**» (تث٣٠: ١٩). «**لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ**» (مت٦: ٢٤). «**تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ... وَقَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**» (مت٢٢: ٣٧ــ٣٩). في هذا الاختيار ستجد الحياة والحريَّة الحقيقيَّة.

☆صلاة☆

"نشكرك يا ربِّي يسوع،
لأنَّك وهبتنا عطيَّة الحريَّة،
لكي بواسطتها نُتَمِّم الفضائل بحريَّة إرادتنا، وبلا لَوْم.

نشكرك على نعمتك الجزيلة، إذ أحببتنا ونحن خطاة.
أنتَ وحدك مُحرِّر النُّفوس مِن قيود الشَّر.

أنتَ مُحطِّم القيود التي تربط الإنسان بالخطيَّة،
لأجل محبَّتك لنا،
حيث تُنادي للمأسورين بالإطلاق،
وتُرسِل المُنسحقين في الحريَّة.

أنتَ بسلطانك الإلهي تقدر أنْ تقهر سُلطان الخطيَّة،
لكلِّ نفسٍ تثق فيك.

يا رب، حرِّر النُّفوس المُستعبَدَة لشهوات الدُّنيا.
نجِّ النَّاس مِن عبوديَّة أدناس العالَم.
اِجعل روحك يقود النَّاس في طريق الحريَّة الحقيقيَّة.

والذين خضعوا في خنوعٍ لسلطان الإثم،
خلِّصهم وحرِّرهم مِن سلاسل الظُّلمة.

لك كل المجد. إلى الأبد. آمين".

الأسبوع الرَّابع مِن الصَّوم المقدَّس

الصلاة غير المُستجابة

المرأة الكنعانيَّة

(مت١٥: ٢١-٢٨)

☆ ✵ ✞ 🕯 📖 ✞ 🕯 ✵ ☆

"خُذ حياتي منِّي". هكذا صرخ أحد الشُّبان وقال: "أخي جُرِح في الحرب، وصلَّيتُ إلى الله لِيُشفَى. وكلُّ إنسان في حالتي كان يتوقَّع الإجابة بالشِّفاء، ولكن لم يحدث ومات أخي. لم أعد أومن بالله فيما بعد.

كلُّ شخص يجاهد في صلواته ليحيا لله، كثيرًا ما يصطدم بالحقيقة أنَّه كما لو يبدو أنَّه يتكلَّم إلى حائط لا نوافذ له، والله أصم من أنْ يسمع الصَّلاة.

والغريب والمُدهِش في الكتاب المُقدَّس أنَّه ممتلئ بأمثلة يبدو فيها أنَّ الله أصمَّ ويرفض أنْ يستجيب. فمثلاً نجد في كتاب المزامير، ذلك الكتاب التَّقَوي الممتلئ بعبارات مُفعَمَة بالإيمان وصلوات الشُّكر، نجد عبارات مثل: «**يا الله في النَّهار صرختُ إليك، وأنتَ لا تسمع صلاتي**». وإذا تحوَّلنا نحو الأنبياء نجد أحدهم يصرخ ويشتكي قائلاً: «إلى

متى يارب أصرخ وأنتَ **لا تستجيب؟**». والأدهش مِن هذا أنَّنا نصطدم في العهد الجديد بنفس الخبرة والاختبار. ها بولس الرَّسول يصرخ قائلاً: «**تضرَّعتُ إلى الرب ثلاث مرَّات أنْ يُفارقني**» (٢كو١٢: ٨) مِن جهة الشَّوكة التي كانت في جسده ليرفعها الله عنه، ولكن لم تُستَجَب صلاته، وظلّ كل حياته مُتوجِّعًا منها. وليس هذا فقط، فالسيِّد المسيح عندما كان في بستان جثسيماني قبل صلبه، صلَّى بصراخٍ شديد ودموع وأشدَّ لجاجة وفي جهادٍ كثير حتى صار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض، قائلاً: «**يا أبتاه، إن شئتَ أنْ تُجيز عنِّي هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك**» (لو٢٢: ٤٢-٤٤)، ولكن ما حدث هو أنَّه قام من الصَّلاة وتجرَّع الكأس حتى الثَّمالة.

ماذا نعمل عندما يبدو أنَّ الله لا يسمع؟

بداية علينا أنْ نعرف أنَّ هذه الخبرة ليست لي أو لكَ فقط، ولكنَّها خبرة عامَّة لا تتعلَّق مِن قريب أو بعيد بموضوع نقص الإيمان. ما يُعزِّينا ويُهدِّئ نفوسنا مِن جهة هذا الموضوع هو أنَّ أبطالاً في الكتاب المقدَّس اجتازوا هذه المحنة مِن جهة الصَّلاة غير المستجابة مِثْل بولس الرَّسول وداود النبِّي وأيوب البار؛ بل والرَّب يسوع نفسه، وغيرهم كثيرين.

دعنا نتأمَّل في موضوع المرأة الكنعانيَّة ومُشكلة الصَّلاة غير المستجابة. إنَّها صرخت للربِّ يسوع مِن أجل ابنتها المريضة جدًّا، ولكن الرَّب يسوع: «**لم يُجبها بكلمة**» (مت١٥: ٢٣).

غرباء عن الله

أوَّل كل شيء، كانت المرأة غريبة أُمميَّة. كان الرَّب يسوع يغادر اليهوديَّة متوجِّهًا نحو صور وصيدا، بلادٍ غير يهوديَّة لم يرها مِن قَبْل، وبالتَّالي فإنَّ تلك المرأة لم تسبق وتُقابله. مِن المحتَمَل أنْ تكون قد سمعت قصصًا عن أعماله المعجزيَّة وشفائه للمرضى، فجاءت إلى الرَّب وهي تشعر أنَّها غريبة جدًّا، وأتت باحثة عن شفاء لابنتها. وإنْ لم يَتِم، فهي على أيِّ حال لم تفقد شيئًا.

ربَّما نجد هنا عن صواب إجابة واضحة لعدد غير قليل مِن الصلوات غير المستجابة. ليس كثيرًا علينا أنْ نقول إنَّنا عند الحاجة القصوى وعند الضَّرورة نتَّجه نحو الله لنعرض عليه احتياجاتنا ليساعدنا فقط، دون أنْ نكون قد سلَّمناه حياتنا باستمرار، فنكون مثل غرباء لديه نذهب إليه عند الحاجة فقط، عندما نفقد الأمل في كلِّ شيء ولا نعرف إلى أين نذهب سواه. وعندما نأتي إليه، هل لنصغي، لنشكر، لنحمد، لنسبِّح؟ أم لنعطيه أوامر لينفِّذ طلباتنا؟ عندما نقول: "لماذا لا يستجيب الله صلواتنا؟" وكأنَّنا نقول: "لماذا لا يعمل الله ما أقول؟"

صَمَمٌ كريم

هل فكَّرتَ مِن قَبْل في المشاكل والأزمات التي سيمرّ بها العالم إنْ حدث واستجيبت جميع الصَّلوات؟ هل رأيت منظر النَّاس بأشكالهم وأنواعهم المختلفة؟ كثير منهم غرباء تمامًا عن الله لهم، فِكْر مُشوَّش مُظلِم تمامًا عن إرادته أو ما يقصده مِن العالَم، وهم يقذفونه بقنابل طلباتهم والتي غالبًا ما تكون متناقضة مع مشيئته. بعضٌ مِن هذه الطَّلبات غبيَّة، وبعضها تافه بلا معنى، وبعضها أنانيّ، وبعضها يحمل في طيَّاته عبارات تجديف؛ وجميع هؤلاء جاهلون لاحتياجاتهم العميقة الأساسيَّة. وعندما تتوقَّف عن التَّفكير عنها، فأوفق إجابة يمكن أنْ يُقدِّمها الله لتلك الأعداد الهائلة مِن الصَّلوات هي الصَّمت المُطبَق الكريم؛ وكما قال أحدهم: "عندما تكون الآلهة غاضبة مع النَّاس، فإنَّها تعطيهم ما يسألون عنه"، ومِن ثمَّ فقد كان ما عمله الرَّب لسؤال تلك المرأة هي أنَّه: «**لم يُجبها بكلمة**». كانت تلك المرأة غريبة بالنِّسبة له، غريبة لأقواله ولطُرُقه. وهكذا نكون نحن أحيانًا.

المثابرة في الصَّلاة

أمَّا تلك المرأة فقد استمرَّت في مثابرتها. يقول الكتاب إنَّها: «**أتت وسجدت له قائلة**: "يا سيِّد، أعنِّي"» (٢٥)، وهكذا فإنَّها في

مثابرتها، قد نالت إجابة مِن يسوع. وهذا هو الشَّيء الثَّاني الذي يمكننا أنْ نتعلَّمه مِن قصَّة هذه المرأة. عليك أنْ تكون مُستعدًّا لتُبرهن على إخلاصك في الصَّلاة بمثابرتك، بأنْ تُلقي بكلِّ ثقلك في الصَّلاة إلى أنْ تصير الصَّلاة حقًّا: "شهوة نفسك الصَّادقة والغالية". ظلَّت القدِّيسة مونيكا Monica والدة القدِّيس أغسطينوس Augustine تُصلِّي مِن أجْل توبة ابنها وتغييره عشرين سنة. لم تتوقَّف عن الصَّلاة أبدًا، لا بعد سنة أو خمس أو عشر أو خمس عشرة سنة. ظلَّت مثابرة على الصَّلاة ٢٠ عامًا، إلى أنْ استُجيبت صلاتها أخيرًا.

هذا بالضَّبط مع تلك المرأة الكنعانيَّة التي نحن بصددها الآن، فإنَّها بواسطة مثابرتها في الطِّلبة نالت ما كانت تبتغيه. ولكن إلى الآن لم تَنَل الإجابة التي كانت تنتظرها. فنتيجة توسُّلها المُستمر أجابها الرب يسوع بمثل وقال: «**ليس حسنًا أنْ يُؤخذ خبز البنين ويُطرَح للكلاب**»، أمَّا هي فأجابته: «**نعم يا سيِّد. والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذي يسقط مِن مائدة أربابها**». كانت المرأة الكنعانيَّة في غاية الاتِّضاع في إجابتها. لقد قارنها الرب يسوع بكلب، ومع ذلك فهي لمْ تنتحب أو تتراجع كبرياؤها المجروحة عندما أراد الرب أنْ يختبر مدى إخلاصها. تقبَّلت المرأة قول الرب

بكلِّ هدوء دون أنْ تشكو أحدًا ولا يسوع نفسه. ولأنَّ هذه المرأة كانت تحب ابنتها جدًّا، وكانت تريد في يأسها شفاءها، فلم يعُد يُهمُّها مُشكلتها الخاصَّة، بلْ اعتبرت نفسها لا تستحق ما يستحقُّه الآخَرون، فلم تتذمَّر على قول يسوع، بل داست على كرامتها واستمرَّت تلاجج الرب بقولها للرب: "ولكن حقًّا يارب، لابدَّ أنْ يوجد لديك شفقة حتى ولو على كلب".

لا يوجد استحقاق يستدعي المطالبة:

إلى أنْ نتقبَّل، أنتَ وأنا، أنفسنا ومشاكلنا بنفس عين الكنعانيَّة المتواضعة، سنجد هناك صعوبات جمَّة في تقبُّلنا لموضوع الصَّلاة غير المُستجابة. بعضٌ منَّا، بخلاف هذه المرأة، يُفكِّر ويظن أنَّ له استحقاقات لدى الله. وبعد كل هذا نقول: "هأنذا أذهب إلى الكنيسة، أصوم وأصلِّي، أدفع عشوري وفي علاقة طيِّبة مع جيراني، وأحيا حياة مرضيَّة لائقة؛ فلماذا يبخل الله عليَّ بأن يستجيب صلاتي؟ كما لوْ كان على الله أنْ يُنفِّذ رغباتنا وكل ما نقوله له! كما لو كُنَّا نحن، وليس الله يُدرِك جيِّدًا ما هو الصَّالح لنا! هل هذا هو ما تعنيه المسيحيَّة؟ أنْ نُحاوِل أنْ نُسرَّ الله ونُرضيه بأنْ نذهب إلى الكنيسة وأنْ نُصلِّي لينفِّذ الله أوامرنا؟ أليست الصَّلاة هي شيء أعظم وأقدس بكثير: «**لتكن مشيئتك، يارب**».

لم تأتِ تلك المرأة إلى الربِّ يسوع بأيِّ استحقاق لشيء تُطالِب به. لمْ تكُن صرختها إلاَّ لتستحثَّ مراحمه، وعندما تكلَّم الرَّب عن إلقاء الخبز للكلاب، أجابته بأنَّه لابدَّ أنْ توجد رحمة أيضًا ولو للكلاب.

أيضًا:

علينا أنْ نلاحظ تلك الكلمة الصَّغيرة: «**أيضًا**». لقد وَضَعَت تلك المرأة كل حياها وحياة ابنتها المريضة في تلك الكلمة الصَّغيرة: "أيضًا". آمنت أنَّ الله محبَّة، ولابدَّ أنَّ هذه المحبَّة تستجيب للإيمان. بل وأحسَّت أنَّه لن يمكن لصمت الله أنْ يهزَّ إيمانها في هذا.

الأمر المأساوي أنَّه عندما تتبرجل حياتنا، ويبدو أنَّ الله لا يسمع صلواتنا، نستسلم للوقت للحزن والقنوط واليأس. هذا يُشبه كما لو أنَّنا توقَّفنا بعد أنْ قضينا ثلثي الطَّريق، وهذا لمْ تعمله الكنعانيَّة رغم الصَّدمة التي أحاقت بها مِن إجابة يسوع. إنَّها مأساة، لأنَّه لا يمكن لله أبدًا أنْ يتخلَّى عن إنسان يثق فيه كل الطِّريق.

لا ضمان:

ليس هناك مِن ضمان أنَّك ستحصل على ما تطلبه بالضَّبط، رغم أنَّ تلك المرأة نالت ما أرادته وشُفِيَت ابنتها. فقد حدث مِن قَبْل

أنَّ صلاة القدِّيس بولس لم تُستَجَب، واستمرَّت شوكته التي في الجسد على ما عليه، ولكن كانت تلك الشَّوكة هي التي أثَّرت في قلب بولس وقدَّسته وأعطته عينًا جديدة يرى بها كفاية النِّعمة. وصلاة الرب يسوع على الصَّليب لم تُستَجَب أيضًا عندما قال: «**لتعبُر عنِّي هذه الكأس**»، ولكن الرَّفض وعدم الاستجابة هما اللذان جلبا الخلاص للعالم.

لم يتركنا الله أبدًا لنُحبَط، ولكنَّه سيظل يتطلَّع إلينا إلى النَّهاية، وما بعد النَّهاية! وعندما يبدو أنَّ الله أصمُّ عن أنْ يسمع صلواتنا، عليك أنْ تتأكَّد أنَّ الأمر ليس هكذا. إنَّه يسمع، حتى ولو لَمْ يمنحنا الشَّيء المُحدَّد الذي نريده، إلاَّ أنَّه لا بدَّ أنْ يسمع وأنْ يستجيب. الله يستجيب كل صلاة تُرفَع إليه في مثابرة، وفي إيمان مُتَّضِع. الله لا يعطينا دائمًا كلَّ ما نتوقَّعه، وبالطَّريقة التي نريدها، ولكنَّه دائمًا يستجيب بأنْ يعطينا أفضل ممَّا نريد. علينا فقط أنْ نؤمن بهذا وأنْ نُصدِّقه.

مِن أين تأتي القوَّة؟

هل الله أصم؟ إنْ كان الله هكذا، فمِن أين لنا أنْ نستمدَّ القوَّة لنستمر في السَّيْر قُدُمًا في مُعتَرَك الحياة عندما نستنفد كل قوَّتنا؟ مِن أين نستمد الصَّبر عندما ينفد الصَّبر وتكون النَّهاية على مرمى البَصَر؟

هل الله أصم؟ مَن إذن الذي يُجدِّد مصادر ينابيعنا الرُّوحيَّة عندما تجف؟ مِن أين تستمد الأرملة شجاعة لتُجمِّع أجزاء حياتها المُبَعثَرَة لتواجه الحياة بمفردها، في الوقت الذي لم تجد فيه شجاعة وقت مواراتها زوجها الثَّرى؟ هل الله أصم؟ ومِن أين يجد الوالدَان الشَّجاعة ليستيقظا كل صباح ويذهبا إلى عملهما بينما ابنهما مريض؟ اسأل كل هؤلاء ماذا يعملون إنْ لَمْ يكُن الله موجودًا ليستندوا عليه عندما يشعرون بالوهن. لكلِّ هؤلاء نقول خذوا مِن المرأة الكنعانيَّة درسًا، لتقول لكم إنَّ الله ليس أصمَّ. عنده عندما تُصلُّون ستجدون عنده القوَّة، والشَّجاعة، والأمل، ومنابع القوَّة؛ وكل ما لم يمكنكم الحصول عليه مِن قَبْل أنْ تُصلُّوا.

استمع إلى تلك الصَّلاة التي وُجِدَت في سُترة أحد الجنود الذين ماتوا في معارك الحرب الأهليَّة. تقول صلاته:

"طلبتُ مِن الله القوَّة لأنالها،
فنلتُ الضَّعف، حتى أتعلم في اتِّضاع كيف أُطيع.

طلبتُ مِن الله الصحَّة، لأعمل أشياء عظيمة،
فنلتُ العِلَل، لأعمل أشياءَ أفضل.

طلبتُ مِن الله الغِنَى، لأكون سعيدًا،
فنلتُ الفقر لأكون حكيمًا.

طلبتُ القوَّة، لأنال مديح النَّاس،
فنلتُ الضَّعف، لأشعر بالاحتياج إلى الله.

طلبتُ كلَّ شيء، لأستمتع بالحياة،
فأخذتُ الحياة، لأستمتع بكلِّ شيء.

لمْ أنَل شيئًا ممَّا طلبتُ مِن أجله، ولكن كل شيء ترجَّيته؛
باستثناء ذاتي، فإنَّ صلواتي التي لمْ أنطق بها بفمي استُجيبت.

أنا مِن بين جميع النَّاس، سعيدٌ جدًّا".

☆صلاة☆

"نشكرك يا رب،
لأنَّكَ تتأنَّى علينا حتى تُعطينا ما هو أفضل.

أنتَ لم تستجب لطلبة المرأة الكنعانيَّة في الحال،
ولم يكن هذا بهدف أنْ تقسو على مشاعرها،
بل تأنَّيتَ عليها لكي تُبرِّر إيمانها العظيم،
ومع الإيمان العظيم توجِد دائمًا النِّعمة والبَرَكَة والشِّفاء.

يارب، أنتَ مُستحقٌ كلَّ مجد وكرامة وسجود،
لأنَّنا منكَ نستمدّ كلَّ قوَّة ومعونة وخلاص وتعزية.

لك كلّ المجد مع أبيكَ الصَّالح، والرُّوح القُدُس،
مِن الآن وإلى الأبد. آمين.

الأسبوع الخامس مِن الصَّوم المقدَّس

شفاء المفلوج

(مر٢: ١-١٢)

☆✵✞🕯📖✞🕯✵☆

حدث ذات يوم أنْ أحضر أربعة أصدقاء مفلوجًا إلى الربِّ يسوع ليشفيه، ولمَّا رأوا أنَّ المنـــزل الذي كان الرَّب يسوع يُعلِّم فيه مُكتظًّا حتى لم يعُد يَسَع ولا ما حوْل الباب، لم يستسلموا لليأس؛ فالإيمان لا يفشل أو ييأس أبدًا. الإيمان دائمًا يتميَّز بالمثابرة، وهو خلاَّق، مُخصِب، ممتلئ بالإبداعات والأفكار، والإيمان يسخر مِن العوائق والحواجز ويتخطَّاها؛ وإنْ وَجَد الإيمان أنَّ هناك طريقًا مسدودًا، فهو لا يهدأ إلى أنْ يجد بديلاً عنه. وإذ لم يقدر الأصدقاء الأربعة أنْ يقتربوا إلى الرَّب مِن أجل الجمع، فقد قاموا بكشف السَّقف بأنْ نـزعوا بعض الطُّوب اللَّبن المُعتاد أنْ يوجد على أسطح منازل سكان فلسطين، ودلَّوْا سرير المفلوج المريض لحزين العاجز مِن خلال الفتحة التي نقبوها نحو الموضع الموجود

فيه السيِّد. عليك أنْ تتخيَّل معي مقدار الهَرَج والمَرَج الحادثَيْن، ومدى دهشة الحشد المُجتمِع وهم يسمعون صوت التُّراب وحطام الأنقاض المُتساقطة عليهم، وعندما يتطلّعون إلى فوق يرون السَّقف قد ثُقِب وانفتح، وسريرًا هابطًا عليهم مِن أعلى. كما عليكَ وأنتَ تتخيَّل الرَّب يسوع وهو يُحملِق إلى أعلى نحو السَّماء مِن خلال الفتحة التي في السَّقف فيرى أربعة رجال يتطلّعون عليه! هنا مِثال عَمَلي لِمَا يمكن أنْ يعمله الإيمان عندما يُرْفَع السَّقف لِنَصِل إلى الله. إنَّ هؤلاء الرِّجال يجعلونه واضحًا للجميع ليروا أنَّ الإيمان المسيحي هو شيء أكثر مِن اقتحام في الظَّلام؛ هو قرار يُحدِّده الإنسان لينشئ اتِّصالاً مع الله. الإنسان الذي يقول: "لم أكُن في الكنيسة يوم الأحد الماضي، ولكن كان قلبي هناك" هو شخص يضحك على نفسه. إنْ كان قلبه هناك، فلابدَّ أنْ يكون جسمه أيضًا هناك. لا يمكنك ببساطة أنْ توقف الإيمان عن أنْ يجد طريقًا لتكون مع الرب يسوع.

الإيمان والمحبَّة:

دعنا نلقي نظرة على الأصدقاء الأربعة الذين حملوا المفلوج إلى الربِّ يسوع. أوَّل شيء جعل المسيح يتعجَّب كان إيمانهم، وكان أنَّه: «**لمَّا رأى إيمانهم**» فقد أجرى معجزة الشِّفاء. لكن علينا أنْ نعي أنَّ

الإيمان المسيحي لا يقف بمفرده، ولكنَّه يمضي خطوة خطوة مع المحبَّة. عندما أتى هؤلاء الأصدقاء الأربعة إلى الرَّب يسوع، لم يأتوا بمفردهم، فقد تذكَّروا مريضًا يشتاق بشدَّة أن يرى يسوع، ولكن تعذَّر عليه ذلك بسبب مرضه. كم مِن كثيرين نسوه، أمَّا هؤلاء الأصدقاء فلم يكونوا هكذا. وعندما سَنَحَت لهم الفرصة حاولوا بكلِّ جهدهم أنْ يُنفِّذوا خطَّتهم ويحضروا المريض إلى الرَّب يسوع. مثل هؤلاء هم الذين يُفرِحون قلب الرَّب. إنَّهم هم ذلك النَّوع مِن النَّاس الذين لا يريدون أنْ يروا هم فقط الرَّب، ولكنَّهم كانوا يهتمُّون أيضًا برؤيته وأحوالهم لا تسمح.

البداية تكون بأنْ نتعرَّف نحن على الرَّب، ولكن لا نتوقَّف عند هذا الحد، بل نجتهد لنحضر أيضًا الآخَرين. أعظم هديَّة يمكنك أنْ تُقدِّمها إلى آخَر هو أنْ تأتي به إلى يسوع. قليل جدًّا مِن النَّاس هم الذين يأخذون عهدًا على أنفسهم بأنْ يُعَرِّفوا ـــ ولو شخصًا واحدًا ـــ كل يوم على يسوع، ولا يهدأون إلى أنْ يكملوا رسالة الحُب هذه لمن يحتاجون إليها. أليست هذه رسالة الكنيسة، ومدارس الأحد، والوالدين، والعاملين في مجال خدمة الشَّباب، والأصدقاء، والمؤتمرات؛ كل واحد بحسب الوزنة المُعطاة له؛ ليأتوا بالآخَرين إلى موائد الشِّفاء عند يسوع. كَمْ هو سهل أنْ تأتي بصديق إلى

الرَّب وتُدليه على فراش الصَّلاة! لم يكن بوسع هؤلاء الأصدقاء الأربعة أنْ يشفوا المريض، ولكنَّهم استطاعوا أنْ يحملوه إلى الرَّب الشَّافي.

يا بُنيَّ، مغفورة لك خطاياك:

تأمَّل رقَّة الرَّب وحنانه، وبأيِّ عواطف جيَّاشة يقول للمفلوج: «**يا بُنيَّ، مغفورة لك خطاياك**». آه مِن حبِّك يا يسوع وأنت تدعو المفلوج وتقول له: «**يا بُنيَّ**». أي أُبوَّة هذه! الرَّب يتكلَّم حقًّا مع واحد مِن أولاده المُتألِّمين، وها هو يجلب له ــ كما يجلب لكلِّ واحدٍ منَّا ــ حُب الله وقوَّته. كان يمكن أنْ يقول الرَّب للمفلوج: "فَلَجُك قد شُفِي"، ولكنَّه لم يفعل هكذا، بل بدلاً مِن ذلك قال: «**مغفورة لك خطاياك**». كانت مُشكلة هذا المفلوج شيئًا أعمق مِن مرضه. معلوم أنَّ الجسد والنَّفس مرتبطان جدًّا بعضهما ببعض، وكثيرًا ما يؤثِّر مرض الواحد في الآخَر. كان عذاب الخطيَّة والشُّعور بالذَّنب السَّبب العميق في إصابة هذا الرَّجل بالفالج؛ ومِن ثمَّ كان على يسوع أنْ يزيل سبب المرض الأوَّل، ولذا قال له: «**يا بُنيَّ، مغفورة لك خطاياك**». إن وُجِد شخص لا يُجيد سواقة العربات، فسوف يُحطِّم أي عربة، حتى ولو كانت أفضل وأثمن وأقوى العربات. العلاج النَّاجع في هذه الحالة ليس هو إصلاح العربات باستمرار، ولكن إعادة تأهيل الشَّخص على القيادة الجيِّدة. لو كان الرَّب سيشفي فقط جسد هذا المريض، فإنَّ

الإحساس بالذَّنب بسبب عدم غفران الخطايا سيُعبِّر عن نفسه مِن خلال مرض جسدي آخَر. كانت نفس هذا المريض مُصابة بالخطيَّة، وكان المرض الجسدي إنَّما هو تعبير خارجي عن مرضه الرُّوحي الدَّاخلي. الخطيَّة هي أعظم مرض. إنَّها تُشل الإنسان وتُقعِده، نفسًا وجسدًا؛ وجاء الرَّب يسوع كطبيب لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا. نحن اليوم نأتي إلى الرَّب ونحن مُصابون بالفلج؛ شَلَل الإحساس باللامعنى للحياة وعدم نفعها، ونتركه ونحن نشعر أنَّه أتى: «**لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل**» (يو١٠: ١٠). نأتي للرب ونحن مرضى بالخطيَّة والشُّعور بالذّنب، ونعود وقد نلنا الصَّفح والغفران: «**إنْ كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثَّلج. إنْ كانت حمراء كالدُّودي تصير كالصُّوف**» (إش١: ١٨). نأتي إلى الرَّب ونحن مُثقَّلون همموم القلق والخوف، ونعود مِن عنده مُحَمَّلين بـ «**سلام الله الذي يفوق كلّ عقل**» (في٤: ٧). نأتي إلى الرَّب وكلّنا شعور بالضَّعف، ونعود مِن عنده ونحن ممتلئون بالقوَّة، حتى نهتف مع القدِّيس بولس: «**أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقوِّيني**» (في٤: ١٣). نأتي إلى الرَّب بإحساسنا بالعزلة والوحشة والوحدة؛ ونعود وقد وجدنا لنا صديقًا يحبُّنا ويهتمُّ بنا. نأتي إلى الرَّب مفلوجين بمشاعر اليأس والاكتئاب؛ ونعود برجاء، رجاءٍ مغروسٍ فينا بالله الذي هكذا أحبَّ العالم، ولم: «**يُشفِق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين**» (رو٨: ٣٢).

نأتي إلى يسوع وكلّنا شعور بالشّك والوسوسة، ونعود وكلّنا ثقة وقد وجدنا الحق في الذي قال: «**أنا هو الطَّريق والحق والحياة. لا يأتي أحد إلى الآب إلاَّ بي**» (يو١٤: ٦). نأتي إلى الرَّب مفلوجين بمشاعر الحُزن؛ ونعود مِن عنده فرحين، أليس هو الذي وعدنا قائلاً: «**كلَّمتكم بهذا ليمكث فرحي فيكم، ويدوم فرحكم**». نأتي إلى الرَّب ونحن مرتعبون مِن وطأة الموت؛ ونعود وكلنا تأكيد وضمان بالحياة الأبديَّة: «**أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتكِ يا هاوية؟**» (١كو١٥: ٥٥).

لماذا يتكلَّم هذا هكذا؟

عندما سمع الكتبة الرَّب يسوع يقول للمفلوج: «**يا بُنيَّ، مغفورة لك خطاياك**» اعترضوا قائلين: «**لماذا يتكلَّم هذا هكذا بتجاديف؟ مَن يقدر أنْ يغفر الخطايا إلاَّ الله وحده؟**». شعر الكتبة أنَّه إنْ كان الله وحده هو القادر أنْ يغفر الخطايا، فيكون بالتَّالي يسوع مجدِّفًا. أظهر يسوع أنَّه هو الله بشفائه للمفلوج بقوله: «**ولكن لكي تعلوا أنَّ لابن الإنسان سلطانًا أنْ يغفر الخطايا، قال للمفلوج: "لك أقول قُم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك"**». علينا أنْ نتذكَّر أنَّ الكتبة كانوا يعتقدون أنَّه لا يُمكن لمفلوج أنْ يُشفَى ويقوم ويمشي إنْ لم تُغفَر خطاياه أوَّلاً. بحسب مُعتقدات الكتبة، فقد كانوا يظنُّون أنَّ كل مرض سببه خطيَّة، ولا يمكن أنْ يُشفَى

مريض إلى أنْ تُغفَر له خطاياه. والآن إنْ كان الرَّب استطاع أنْ يجعل هذا المفلوج يقوم ويمشي، فهذا برهانٌ دامغٌ أنَّ خطاياه قد غُفِرَت بالفعل، وأنَّ يسوع هو الله بالحقيقة الذي وحده قادر أنْ يغفر الخطايا!

أيُّما أيسر؟

سألهم الرَّب يسوع قائلاً: «**أيُّما أيسر؟ أنْ يُقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك. أم أنْ يُقال قُم واحمل سريرك وامشِ؟**» أيُّما أيسر؟ أنْ يغفر أم أنْ يشفي؟ أجاب رئيس الأساقفة على هذا السُّؤال بقوله:

> "**أنْ يخلق الله العالم، فهذا أمرٌ سهل، فليس مِن جُهد لذلك. أنْ يقول الله: «ليكن نور، فكان نور»، فهذا أيضًا أمر غير عسير. أمَّا أنْ يُحوِّل الله قلوبًا مثل قلوبنا، مِن محبَّة الذَّات التي صارت شيئًا من طبيعتها، إلى المحبَّة التي هي صفة الله وطبيعته، فهذا قد احتاج إلى جهد كثير، وإلى عرقٍ دموي، وأنْ يموت ابن الله بالجسد على الصَّليب**".

حقًّا: «أيُّما أيسر؟»

قُم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك!

العالم يقول دائمًا: "اصنع سريرك وارقد عليه"، ولكن يوجد آخَر أعظم مِن كلِّ العالم يقول لكلِّ تائب: «**قُم واحمل سريرك وامشِ. مغفورة لك خطاياك**».

تساءل الفرِّيسيُّون وقالوا: «لماذا يتكلَّم هذا هكذا؟ مَنْ يقدر أنْ يغفر خطايا إلاَّ الله وحده؟». ولكن المفلوج عَلِم أنَّ المسيح هو الله.

بُهِتَ الجميع، ومجَّدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط!

مِن خلال قوَّة المسيح نفسه، يمكننا نحن أيضًا أنْ نقوم مِن عقل مفلوج، نفس مريضة، روح يائسة، ونمضي قُدُمًا في حياة مِن نـــوعٍ آخَر، حياة ملؤها الصحَّة والشِّفاء. ونحن أيضًا يمكننا أنْ نُمجِّـــد الله ونقول: «**ما رأينا مِثل هذا قط!**» فما كنتُ أحلم بمِثْل هذا السُّـــرور والفرح والسَّلام والغفران!

☆صلاة☆

"يا صاحب السُّلطان على غُفران الخطايا،
نُمجِّد اسمك لأنَّك أنتَ وحدك عندك الغفران الإلهي،
الذي يُريح الضَّمير المُعذَّب،
ويشفي القلب السَّقيم، ويُبرئ العليل.
نشكرك، لأنَّك لا زلتَ تُحقِّق خلاصك الثَّمين،
بمُقتضَى نعمتك الغنيَّة المجانيَّة،
لكلِّ خاطئ وَثَقَ في قوَّة محبَّتك وغفرانك وخلاصك.
لك كلّ المجد، مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس،
مِن الآن وإلى الأبد. آمين".

الأسبوع السادس مِن الصَّوم المقدَّس

فأخبروه أنَّ يسوع النَّاصري مُجتاز

(لو١٨: ٣٥-٤٣)

☆✵✞🕯📖✞🕯✵☆

كان الجرَّاح النِّمساوي الشَّهير الدَّكتور "لورنز" يتمشى يومًا ما في إحدى المدن، وفوجئ بغتةً بعاصفة رعديَّة، وحدث سَيْل عنيف مِن المطر حتى إنَّه أسرع إلى أقرب بيت وقرع جرس الباب، ولَمَّا فتحت سيِّدة الباب سألها إنْ كان يمكنه أنْ يدخل، ولكنَّ المرأة التي كان واضحًا أنَّها مضطربة صاحت قائلةً: "اذهب إلى مكان آخر، فإنه يكفي ما في هذا البيت مِن مشاكل"، وأغلقت الباب بعنف في وجهه.

وفي اليوم التَّالي عندما نَظَرَت ربَّة البيت غير المضيافة في إحدى الجرائد صاحت بفزع، فقد رأت في الجريدة صورة الشَّافي العظيم دكتور "لورنز" الذي كان قد جاء إلى تلك المدينة مِن "فيينا" لكي يعالج وارثة غنيَّة كان لديها نفس نوع المرض النَّادر مثل ابنتها المتوجِّعة؛ وكان الدكتور "لورنز" هو الطِّبيب الوحيد في العالم الذي كان يمكنه أنْ

يُجري نوع الجراحة المطلوب لكي يشفي ابنتها. إنَّه كان قد جـــاء إلى بابها ولكنَّها أغلقت الباب بعنف في وجهه، أمَّا الآن فقد انصرف عائدًا إلى فيينا!

يخبرنا الإنجيل عن أعظم شافٍ في العالم، الرَّب يسوع، كان زائرًا مدينة أريحا، ولمَّا سمع رجلٌ ضريرٌ صوت هياج ســأل عمَّــا يحــدث، «**فأخبروه أنَّ يسوع النَّاصري مجتاز**».

إيمانــه العظيــم:

كان يمكن لهذا الضَّرير الشحَّاذ أنْ يقول: "يسوع؟ ماذا يمكنه أنْ يعمل لي؟ إنَّني ضرير"، ولكنَّه لم يفعل ذلك. فعندما يؤمن أحد بيسوع حقًّا لا يجب عليه أنْ يقول: "هذا لا يمكن أنْ يُعمَل"، فهو يَعلم أنَّ عند الله «**كل شيء مستطاع**». وهكذا تحقَّق الرَّجل الضرير أنَّ فرصة حياتــه على وَشَك أنْ تجتاز أمامه، فتعلَّق بها وصاح قائلاً: «**يا يسوع ابن داود ارحمني**» (لو١٨: ٣٨). وحاول المجتازون أنْ يُسكتوه كما يقول الإنجيل: «**فانتهره المتقدِّمون ليسكت. أمَّا هو فصرخ أكثر كثيرًا: يـــا ابـــن داود ارحمني**» (لو١٨: ٣٩). لقد عزم أنْ يتَّجه إلى يسوع وجهًا لوجه، فـــلا يمكن لشيء أنْ يوقفه، فرفض أنْ يسكت ورفض أنْ يقيِّده أحـــد. إنَّ شعوره بالاحتياج قد ساقه دون أنْ يلين إلى حضرة يسوع. فإذا احتاج

إنسان إلى معجزة فهذا هو بالضَّبط نوع الرُّوح الذي ينبغي أنْ يمتلكــه، إذ يجب أنْ يكون مُصرًّا على طلبه.

ذات مرَّة حدثت مناقشة في بيت أخويَّة خاص بكليَّة، وكان موضوع النِّقاش: "هل يمكننا أنْ نؤمن بالله؟" فقال أحد الطَّلبة: "أودُّ أنْ أعطي كل شيء إذا أمكنني أنْ أومن بالله، ولكنَّني غــير قــادر". فطرح عليه قائد المناقشة خمسة أسئلة متلاحقة: "كــم هــو عــدد السَّاعات التي قضيتها في الشَّهر الماضي مِــن أولهــا إلى آخرهــا في محاولتك أنْ تُفَكِّر في الطَّريقة التي تؤمن بها بالله؟" فأجاب: "ولا ساعة واحدة". ثم سأله: "كم هو عدد الكتب التي قرأتها في السَّنة الماضــية ممَّا أمكنها أنْ تُلقي لك ضوءًا على هذه المشــكلة؟" فأجــاب: "ولا كتاب واحد". ثم سأله: "كم هو عدد النَّاس الذين تكلَّمتَ معهم ممَّن أمكنهم أنْ يساعدوك لكي تجد طريقًا خلال بعــض مصــاعبك؟" فأجاب: "لا أحد". ثم سأله: "هل حضرتَ في الكنيســة؟" فقــال: "كلاَّ". ثم سأله: "هل صلَّيتَ طالبًا إرشادًا؟" فأجاب: "لا". طالــب الكليَّة الشَّاب هذا قد قال: "أودُّ أنْ أعطي كل شيء إذا أمكــنني أنْ أومن بالله"، ولكنَّه في الحقيقة لم يعطِ شيئًا.

ومِن النَّاحية الأخرى، فإنَّ الشحَّاذ الضَّرير ضحَّى بكلِّ شــيء. وصاح ليسوع بإصرار وبإيمان عاطفي رغم انتهار الجَمْع قــائلاً: «يــا

يسوع ابن داود ارحمني!» وكانت النَّتيجة أنَّه وجد الله، فيقول الإنجيل: «**فوقف يسوع وأمر أنْ يُقدَّم إليه**» (لو١٨: ٤٠). لقد توقَّفَت السَّماء كلها عن مجراها، والعالم الذي هو فيما وراء عالمنا أُثير انتباهه بكل قدرته الشَّافية بواسطة صَيْحة واحدة لاحتياج بَشَري. إنَّ الله دائمًا توقفه صيحة إيمان مُخْلِصَة!

قوَّة الصَّلاة:

حاول النَّاس المحيطون به أنْ يُسكتوا الرَّجل الأعمى، ولكنَّه صرخ بصوت أعلى كثيرًا قائلاً: «**يا ابن داود ارحمني**». ولمَّا سمعه يسوع توقَّف. أيّة رؤية إلهيَّة عجيبة هذه! كان يسوع بلا شك في طريقه إلى تأدية رسالة هامَّة، ولكنَّه سمع صَيْحة طلب المعونة أكثر مِن ضوضاء الجمع، ويقول الإنجيل: «**فوقف يسوع**». القادر على كل شيء يقف في طريقه لكي يسمع صرخة أسى وبؤس بشريَّتَيْن. هكذا تكون الصَّلاة لها قوَّة أنْ توقف الله ويركِّز انتباهه عليك أنتَ بالذَّات. ولنفترض أنَّ الأعمى لم يتوسَّل، لكان يسوع قد تجاوزه. وكم توجد احتياجات في حياتك لم يُستَجَب لها، لأنَّك ببساطة لم تصلِّ؟ كم مرَّة تجاوزك الله لأنَّك لم تطلب مِنه أنْ يقف؟! «**كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه**» (مت٢١: ٢٢).

الحدّ الذي يضعه الله ليس هو لمقدرته أو رغبته في العطاء، بل إنَّه يتوقَّف على رغبتنا في الطَّلب وإمكاننا أنْ نؤمن. توجد لحظات هي أعظم ما يكون في حياة الإنسان عندما يركع باتِّضاع ويبدأ في الصلاة بسبب تحقُّقه مِن احتياجه وإيمانه بقدرة المسيح على إجابة حاجته. هذا الرَّجُل الذي أوقف توسُّله يسوع لم يكن حاكم بلاده، ولا هو شخصًا مشهورًا أو ذا تأثير، فلم يكن سوى شحَّاذٍ. لقد كان إنسانًا في قاع الدَّرجات الاجتماعيَّة، ولكن ابن الله توقَّف في مواجهة احتياج شخص خامل الذِّكر، وأعطاه انتباهه التَّام، وجعل قدرته الفائقة أمرًا متاحًا.

«**وَقَف يسوع ... وسأله قائلاً: "ماذا تريد أنْ أفعل لك"؟ فقال: "يا سيِّد، أنْ أُبْصِر"، فقال له يسوع: أَبْصِر، إيمانك قد شفاك". وفي الحال أَبصر وتبعه**» (لو١٨: ٤٠-٤٣). هكذا فَتَّح يسوع عينيه فاستردَّ بصره، ونظر الرَّجُل الأعمى ليس ضوء النهار فحسب؛ بل نظر أيضًا نور الحياة: يسوع! ويقول الإنجيل: «**وتبعه**». فعندما نأتي إلى يسوع يستردّ لنا دائمًا بصيرتنا الروحيَّة، ويمكِّننا مِن رؤية أمور لم نرَها مِن قَبْل إطلاقًا. مِثْل هذه البصيرة تُغَيِّر حياة الإنسان، فهو يعيش فيما بعد ليس لأجل أمور هذا العالم العابرة، بل لأجل أمور تدوم وتبقى في الأبديَّة. مِثْل هذه البصيرة تتطلَّب إنسانًا يبتعد عن فقر الشِّحاذة إلى التَّلمذة للمسيح، بعيدًا عن الأذى والإجحاف إلى حياة الحب والأخوَّة، بعيدًا عن الخطيَّة إلى حياة جديدة في المسيح يسوع.

عندما استردَّ الشَّحاذ الأعمى بصره «**تبع يسوع**». لقد كانت لديه ما يكفي مِن الظُّلْمَة، وهو الآن يودُّ أنْ يعيش في حضرة ذاك الـــذي كان والآن وسوف يكون: "**نور العالم**".

عندما سمع الشحَّاذ الأعمى أنَّ «**يسوع النَّاصري مجتـــاز**»، تعلَّق بأعظم فرصة في حياته، فحصل على بصره. وأعظم فرصة في حياتنا نحن أيضًا هي أنَّ يسوع النَّاصري مجتاز **اليوم والآن**. إنَّـــه يقرع باستمرار على باب قلوبنا، ويكشف لنا عن ذاته في الكتاب المقدَّس، ويتحدَّث إلينا مِن خلال الكنيسة، ويقدِّم لنا ذاته مِـــن خلال السَّرائر الكنسيَّة. إنَّه دائمًا يبعد عنَّا عندما نتوقَّـــف عـــن الصَّلاة.

ولكن هل نحن، مِثْل الشحَّاذ الأعمى، على دراية بأنَّ يسوع مجتازٌ؟ هل ننتفع مِن وجوده أم نبقى ساكتين ومتوانين حتى يَعْبُر؟ لو أنَّ الشحَّاذ الأعمى، الذي كان جالسًا على جانـــب الطريـــق مصغيًا ومتعجِّبًا لم يفعل شيئًا حتى تجاوزته أعظم فرصة له، لكان قد ظلَّ هو الشحاذ الأعمى على جانب الطريق. كم واحد منَّـــا نحن يفعل ذلك تمامًا؟ فإذا سمحنا ليسوع أنْ يَعْبُر دون أنْ يلتفت إلينا سوف نظل مساكين شحَّاذين عميانًا فـــاهم أنْ يســـتجيبوا ويتعلَّقوا بهذه الفرصة التي كانت ستمنحنا البصيرة والنُّور والسَّعادة والفرح وتحقيق ما يفوق توقُّعنا، ويقتادنا إلى حياة أبديَّة كشركاء وارثين مع يسوع!

وكما في حالة المرأة التي كانت لها ابنة مريضة، والـــتي أغلقـــت

الباب بعنف أمام الشَّخص الوحيد الذي يمكنه أنْ يشفي ابنتـــها، فـــإنَّ أعظم مأساة في الحياة ليست فيما نعاني بل فيما نفقد! فكوننـــا نفقـــد المسيح يعني أنَّنا نفقد كل شيء. ورِبْحُنا للمسيح يعني أنَّنا نـــربح كـــل شيء. يقول يسوع: «**هأنذا واقفٌ على الباب وأقـــرع**» (رؤ٣: ٢٠). والباب هو قلبك وقلبي، فهل ستغلق الباب بعنف بعدم مبالاتك؟ أم أنَّك ستنتهز أعظم فرصة في الحياة وتدعوه للدُّخول في حياتك؟!

☆صـلاة☆

''نشكرك يا ربِّي يسوع،
لأنَّك جئتَ نوراً للعالم،
لكي تشرق بنورك على الجالسين في الظُّلمة وظلال المَوْت.

ما أحوج عالَم اليَوْم إلى نورك يارب،
لأنَّ الظُّلمة الروحيَّة طغت على قلوب الكثيرين.

إِسطَع بنورك الحقيقي على أذهانهم فيستنيروا،
إفتح عيون العميان،
لكي يروك ويتعرَّفوا عليكَ كربٍّ ومُخلِّص.

ولتنتهِ أيَّام الظَّلام، وينتشر نورك في كلِّ مكان،
ويكون هذا النُّور سبب خلاص للأمم والشُّعوب.
لك كلّ المجد إلى الأبد. آمين.

يُطلَب هذا الكتاب من :

- مطرانيـــة بنـــي مـــزار والبهنســـا: (ت: ٠٨٦ ٧٨٣٠٠٣٣)
(ت: ٠١٢٢٢٥٣٧٨٧٠٧)
- مكتبـــــة المحبـــــة - شـــــبرا: (ت: ٠٢ ٢٥٧٥٨٢٦٢)
- مجلـــــة مـــــدارس الأحـــــد: (ت: ٠٢ ٢٢٠٢٩٧٤٤)
- مجلـــــة مـــــرقص - شـــــبرا : (ت: ٠٢ ٢٥٧٧٠٦١٤)
- مكتبة مارجرجس شيكولاني- شبرا: (ت: ٠٢ ٢٢٠٢٣٢٣٤)
- مكتبـــــة الرجـــــاء - المنيـــــا: (ت: ٠١٠٠١٢٢٨٩٣٩)
- مكتبـــــة نيوشـــــيري - ســـــوهاج: (ت: ٠٩٣ ٢٣٣٩١٦٨)
- من المكتبات المسيحية والكنائس بالقاهرة والأقاليم.

اُطلب أيضًا

(١) الله يعمل للخير .... طبعة ثالثة عشر ٢٠١٤

(٢) الأرثوذكسية الشرقية طريق الحياة .... طبعة تاسعة ٢٠١٤

(٣) حضور الله وقت المرض والحزن والاكتئاب واليأس .... طبعة سابعة ٢٠١٤

(٤) الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور .... طبعة سابعة ٢٠١٤

(٥) تطبيقات إنجيليَّة نافعة لموسم الصوم المُقدَّس .... طبعة رابعة ٢٠١٤

(٦) كيف تجعل زواجك سعيدًا .... طبعة ثالثة عشر ٢٠١٤

(٧) كلَلهُما بالمجد والكرامة .... طبعة سابعة ٢٠١٤

(٨) كلمات السيِّد المسيح على الصليب .... طبعة ثامنة ٢٠١٤

(٩) من هو المسيح؟ السيِّد المسيح يُعلِن عن شخصه .... طبعة خامسة ٢٠١٤

(١٠) التوبة والاعتراف .... طبعة تاسعة ٢٠١٤

(١١) الصوم الأربعيني المُقدَّس - ربيع الرُّوح .... طبعة سادسة ٢٠١٤

(١٢) تسليم الحياة لله .... طبعة ثامنة ٢٠١٤

(١٣) الصوم الأربعيني المُقدَّس - رحلة إلى السماء .... طبعة سادسة ٢٠١٤

(١٤) البصخة المُقدَّسة - من سبت لِعازر إلى سبت النُّور .... طبعة خامسة ٢٠١٤

(١٥) الفردوس بين يديك .... طبعة خامسة ٢٠١٤

(١٦) التطويبات - (١) طوبى للمساكين بالروح .... طبعة ثانية ٢٠١٠

(١٧) لماذا جاء المسيح؟ .... طبعة رابعة ٢٠١٥

(١٨) التطويبات – (٦) طوبى الأنقياء القلب .... طبعة ثانية ٢٠١٠

(١٩) التطويبات – (٨) طوبى للمطرودين من أجل البر.............. طبعة ثانية ٢٠١٠

(٢٠) رسالة تعزية .... طبعة خامسة ٢٠١٤

(٢١) التطويبات – (٢) طوبى للحزانى – (٣) طوبى للودعاء....... طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٢) تعزيات المسيح للحزانى.. طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٣) التطويبات – (٤) طوبى للجياع والعطاش – (٥) طوبى للرحماء.... طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٤) التطويبات – (٧) طوبى لصانعي السلام .... طبعة ثالثة ٢٠١٤

(٢٥) يوم الرب .... طبعة ثانية ٢٠١٤

(٢٦) التطويبات – تعاليم السيد المسيح على الجبل...................... طبعة ثانية ٢٠١٤

(٢٧) الروح القدس وسر الميرون.. طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٨) لقاء مع الرب يسوع في الأناجيل (الجزء الأول) .... طبعة ثانية ٢٠١٤

(٢٩) الصوم المقبول .... طبعة ثالثة ٢٠١٤

(٣٠) الكتاب المقدس وأهميته لحياتك الروحية .... طبعة ثالثة ٢٠١٤

(٣١) معنا وسط الأتون .... طبعة ثالثة ٢٠١٤

(٣٢) رؤية جديدة علي رحلة يونان .... طبعة ثانية ٢٠١٣

(٣٣) نادوا بصوم .... طبعة ثالثة ٢٠١٤

(٣٤) لقاء مع الرب يسوع (الجزء الثاني) .... طبعة ثانية ٢٠١٤
(٣٥) آلام مُخلِّصة.. طبعة ثالثة ٢٠١٤
(٣٦) كيف تتجلى صورة المسيح فيك.................................. طبعة ثالثة ٢٠١٤
(٣٧) هل الله هو الأول في حياتك؟ .... طبعة ثالثة ٢٠١٥
(٣٨) لقاء مع الرب يسوع (الجزء الثالث) .... طبعة ثانية ٢٠١٤
(٣٩) ما هي الحياة .... طبعة ثانية ٢٠١٥
(٤٠) لقاء مع الرب يسوع (الجزء الرابع) .... طبعة ثانية ٢٠١٥
(٤١) تحقيق طاقتك الكامنة في المسيح – الاتحاد بالله.............. طبعة ثانية ٢٠١٥
(٤٢) الأعذار وتبرير الذات.. طبعة ثانية ٢٠١٥
(٤٣) الموت الجسدي ليسوع المسيح .... طبعة أولى ٢٠١٤
(٤٤) لقاء مع الرب يسوع (الجزء الخامس) .... طبعة أولى ٢٠١٤
(٤٥) ماذا أصاب الحق .... طبعة ثانية ٢٠١٥
(٤٦) إرشادات لدارسي الكتاب المقدس (العهد الجديد)............... طبعة أولى ٢٠١٥
(٤٧) الصوم والصلاة .... طبعة أولى ٢٠١٥
(٤٨) حرية مجد أولاد الله .... طبعة أولى ٢٠١٥
(٤٩) لقاء مع الرب يسوع (الجزء السادس) .... طبعة أولى ٢٠١٥
(٥٠) الفيلوكاليا: (١) الأهواء والشهوات .... طبعة أولى ٢٠١٥
(٥١) هل خلصت؟ .... طبعة أولى ٢٠١٦
(٥٢) المرأة والتناول .... طبعة أولى ٢٠١٦
(٥٣) لقاء مع الرب يسوع (الجزء السابع) .... طبعة أولى ٢٠١٦
(٥٤) إدانة الآخرين والغفران .... طبعة أولى ٢٠١٦

سعر النسخة من هذا الكتاب **ثمانية جنيهات**

قرأتُ كثيرًا لآباء وعظماء في شرح عن الصَّوم و الصَّلاة، واستفدتُ وتعلَّمتُ أمورًا إنجيليَّة تعرِّفني الصَّوم كأمر من الخالق لأبينا آدم ليحيا مع الله. أمَّا في هذا الكتاب، فنجد صورة دقيقة حيَّة لوصايا الإنجيل عن معنى الصَّوم في نقاط هامَّة كما أعلن إشعياء النَّبي في سفره الإنجيلي الأصحاح (٥٨)، ليكون إنجيلاً نسير على خطواته حتى نصل به إلى فردوس النَّعيم، ونرى ملكوت المسيح بفدائه الذي أعدَّه لنا بدمه الكريم.

إقرأ هذا الكتاب، وقُم بتنفيذه يومًا فيومًا؛ ولا تقرأه دفعة واحدة، بل كلَّ يوم خُذ نصيحة وتدرَّب عليها عمليًا فتحصل بالفعل على فضائل تجعلك جنَّة مغلقة، يدخل إليكَ رب المجد ويقطف مِن جنَّته عنبًا، دليل الحب الباذل، ويأكل عسلاً لأنَّك كلك حلاوة ومُشتهيات.

وفي كلِّ أسبوع تقدر أن تحصل على وصايا توصِّلك إلى قامة ملء المسيح، لتكون جنَّة مغلقة، وعينًا مقفلة، ينبوعًا مختومًا (نش٤: ١٢).

الأنبا أثناسيوس

أسقف بني مزار والبهنسا

المؤلِّف

هو الأب أنتوني م.كونيارس كاهن يخدم في كنيسة القديسة مريم الأرثوذكسية اليونانية في مينيابوليس، وهو يتميز بغيرة رسولية حارة. كان مسئولاً عن العمل الأرثوذكسي الطلابي بجامعة مينيسوتا حيث كان يخدم في المجمع الاستشاري الديني. وقد نجح من خلال كتاباته في جعل الأرثوذكسية للشباب رسالة ذات تقليد حي، تتقبل كل ما هو حقيقي وجميل، وترفض كل ما هو زائف وفاسد.